# العدل أساس الملك

( العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق ونصبه للحق )

الميزان العادل بين الحق والباطل يقول :

أنا الميزان لا أخطى وغير الحق لا أعطى

لقول الخالق البارى : ( أقيموا الوزنَ بالقسطِ )

# العـــدل (١)

أوصى الله سبحانه وتعالى بإقامة العدل ، وزينه للإنسان ، وصوّره له بصورة ملجأ ، قويّ الدعائم ، ما استغاث به ملهوف إلا وأغاثه ، وما استجار به مظلوم إلا وأجاره ، وجعله (جل شأنه) أساس الملك ، وروح العمران ، وأساس المدنية والحضارة .

العدل هو إيصال الحق إلى مستحقه ، وهو وضع الشيء في محله ، وهو ميزان الله تعالى في الأرض ، يأخذ به الضعيف حقه من القوى ، والمحق من المبطل ، و به قوام الدنيا والدين ، وسبب صلاح الخلق ، وهدايتهم إلى طريق الحق .

و به تتآلف القلوب ، وتلتئم الشعوب ، وتزول الخطوب والكروب ، و يشمل الناس التناصف ، ويضمهم التواصل والتعارف ، و به تعمر البلاد ، وتسعد العباد ، وتؤمن السبل ، وتنمو التجارات ، وتدر الأرزاق والخيرات ، ويعم الصلاح الخاصة والعامة .

العدل ماقامت به أمة من الأمم ، وجعلته أصل موارد أعمالها ومصادرها إلا وكانت في مقدمة الأمم عمراناً ، وأكثرها حضارةً ومدنيةً ، وماحادت عنه أمة إلا وكان الخراب رائدها ، والضعف قائدها .

بذلك قضى العقل ، وحكم الله بالحق ، وجرى العمل في الأمم من أول نشأتها للآن ، مهما تغيرت الأحوال والزمان .

وقد حثّ الله على العدل ، وبالغ في التمسك والأخذ به في جميع الأحوال ، وسائر الأعمال . فقال جل شأنه :

(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) .

وسيأتي ذكر الآيات الواردة في القرآن الكريم في العدل :

(١) قال وزير العدل في خطبة له : العدالة هي في السماء نور من أنوار الله ، وهي على الأرض ميزان منصوب لإحقاق الحق ؛ فالقضاة إنما يمشون إلى الحق مسترشدين بنوره ويوحي ضمائرهم .
الأهرام في ٢٣ — ١ — ١٩٤٢

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَعْظَمُ قَدْرًا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى المَلِكُ العَادِلُ » .

وسيأتى ذكر الأحاديث الواردة فى هذا الباب .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لبعض عماله : عليكم بالعدل ، وتباعدوا عن الجور ، ولا تغدروا إن عاهدتم ، ولا تنقضوا إن صالحتم .

وسيأتى ذكر ماقيل من أقوال الخلفاء والعلماء والحكماء والأدباء .

والعدل الذى يجب على كل إنسان التمسك به ، يكون بإعطاء كل ذى حق حقه ، لا أكثر ولا أقل .

فالبائع الذى يكيل المشترى بقدر ما اتفقا عليه فهو عادل ، ويحوز رضا زبائنه ، ويربح حلالاً ، وتتسع تجارته .

والمشترى الذى يدفع ماعليه للتاجر فهو عادل ، ويميل كل التجار لمعاملته ومساعدته ، وإعطائه مايطلب منهم .

والموظف الذى يقوم بأداء واجبه حق القيام فهو عادل ، ويفوز برضاء رئيسه ، ومحبة إخوانه ، ويستحق التقدم والترقى .

والرئيس الذى يسوى بين مرءوسيه فيما يعهد إليهم من عمل ، ويوزع بينهم بشاشته وعطفه ، ويعطى كل واحد مايستحق من مكافأة وترقية ، ولا يرقى صنيعة له ، ولا يغض عن معايب ذوى الحظوة عنده ، ثم يحصى على غيرهم أنفاسهم وهفواتهم ، بل يكون الكل لديه سواء ، فيما هومن مقتضيات الوظيفة . ومستلزمات الأعمال فهو عادل يكتسب حبهم واحترامهم وإخلاصهم ، فضلاً عن أن ذلك يبعث فيهم روح النشاط والدأب والجد ، والخوف من التقصير والتهاود ، فيكثر إنتاجهم ، وينظم سير الأعمال ، ويتوافر الكل على مايرقى شأن البلاد ، ويسير بها فى مدارج الكمال .

والقاضى الذى ينصف المظلوم من الظلمة ، ويرد الحقوق إلى ذويها ، فلا يبرئ آثمًا ، ولا يدين بريئًا ، ولا يقرب خصماً على خصم ، فهو عادل ، يكتسب رضاء الخلق والخالق ، وتحسن سمعته ، وتبقى ذكراه .

وسيأتى الكلام على صفات الإمام العادل ، والقاضى العادل .

فمن استمسك بحبل حب العدل ، ومال إليه ، سهل الله سبحانه وتعالى سلوك سننه عليه ، وأوضح بدليل التوفيق والهداية مناهجه لديه ، وجعل من عدله يوم القيامة نوراً يسعى بين يديه ، وكان عند الله من الفائزين المقربين له يوم الحساب ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، يوم يحكم بينهم بالعدل أحكم الحاكمين .

## كلمـــة

حضرة صاحب المعالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، وزير الشئون سابقاً ( ووزير التموين حالاً ) فى العدل : كانت الحكمة المسيطرة علىّ وأنا وزير هى :

العدل أساس الملك، ولا كتمان أننى كنت أشعر براحة كبرى لسيطرة هذه الحكمة ،

وإن كان العدل شديداً فى مظهره فى كثير من الأحيان ، فإنه ينطوى فى كل الأحيان على خير كثير لا يفطن إليه أحد غير العادل نفسه .

وفى سبيل تمسكى بهذه الحكمة كنت لا أعبأ بمشورات ولوائح لها قداسة فى نظر الموظفين ، كما كنت لا أعبأ باعتبارات حزبية ، يعتبر عدم اعتبارها فى نظر البعض جريمة لا تغتفر .

وقد سبب لى ذلك الكثير من المتاعب فعلاً ، غير أننى كنت أرتاح أخيراً عند ما أرى أن التصرف العادل يمحو آية الحزبية عند المؤمنين بها .

عن مجلة الاثنين العدد ٧٠٧
الصادرة فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤٧

# الآيات القرآنية

## الواردة فيها كلمة « العدل » وتفسير معانيها

## سورة البقرة

١ — ( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ) ٢٨٢

يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى موعد عينتموه فاكتبوه ، فذلك أوفق وأدفع للتشريع .

وليكتب لكم كاتب عادل لا يجور على أحد الطرفين ، ولا يمتنع أحد الكتاب أن يكتب لينفع الناس كما نفعه الله بتعليمه الكتابة .

وليكن المملى هو الذى عليه الحق ، وليتق الله ، ولا ينقص من الحق شيئاً ، فإن كان الذى عليه الحق لايستطيع أن يمل لقلة عقله ، أوضعفه من صغر أو كبر أوجهل ، فليمل قيّمه أووكيله ، وليشهد على ذلك رجلان أورجل وامرأتان .

## سورة النساء

٢ — ( فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ لَا تَعُولُوا ) ٣

بعد أن ذكر الله اليتامى وأوصى بهم خيراً قال : وإن كنتم تخافون أن لا تعدلوا فى يتامى النساء ، إن تزوجتم بهن تحرجاً من تبعة ظلمهن ، فتزوجوا من غيرهن مثنى وثلاث ورباع . وخافوا أيضاً أن لاتعدلوا بينهن ، كما تخافون ذلك فى اليتامى ، فإن رأيتم أن العدل بينهن غير متيسر فيكفيكم واحدة ، أو ماملكت أيمانكم من الإماء ، ذلك أقرب أن لاتميلوا عن الحق .

٣ — ( وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ) ٥٨

هذا أمر من الله بالحكم بين الناس بالعدل ( انظر سبب نزول هذه الآية فى المصحف المفسر )

٤ — ( وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ ) ١٢٩

ولن تستطيعوا أن تكونوا على العدل الكامل بين النساء ولو أفرطتم فى تحرى العدل فاكتفوا بأن لاتميلوا كل الميل بترك المستطاع .

٥ — ( فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ، وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ) ١٣٥

يأيها الذين آمنوا كونوا مواظبين على العدل ، مجتهدين فى إقامته ، تؤدون شهادتكم لوجه الله ، ولوعلى أنفسكم أو والديكم أو أقاربكم ، وإن يكن المشهود عليه غنيًّا أو فقيرًا ، فلا تمتنعوا عن أداء الشهادة ميلاً إليه لغناه ، ولارحمةً به لفقره ؛ فالله أولى بالنظر إلى حال الغنى والفقير منكم .

فلاتتبعوا أهواءكم كراهة أن تعدلوا ، وإن تلووا ألسنتكم لإخفاء معالم الحق ، أوتمتنعوا عن أداء الشهادة ، فإن الله خبير بما تعملونه ، يجازيكم عليه بما أنتم أهله .

## سورة المائدة

٦ — ( يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) ٨

يأيها الذين آمنوا اجتهدوا فى القيام بعهود الله ، شاهدين بالقسط ، أى بالعدل ، ولا تحملنكم كراهتكم لقوم على أن لاتعدلوا ، بل اعدلوا فإن ذلك أقرب للتقوى والخوف من الله ، واحذروا الله إن الله خبير بما تعملون .

٧ — ( وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ) ٤٢

بعد أن بين الله أن اليهود سماعون للكذب أكالون للحرام قال :

يامحمد إن تحاكموا إليك فى شئ فأنت مخير بين أن تحكم بينهم ، و بين أن تعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ، و إن حكمت فاعدل بينهم إن الله يحب العادلين .

٨ — ( يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ) ٩٥

أوجب الله على من يقتل صيداً وهو محرم أن يقدم للبيت من النَّعم عدد ما قتل من الصيد ، و يحكم بذلك ذوا عدل منكم ، أو إطعام مساكين ، أومايساويه من الصيام ليذوق عاقبة عدوانه .

٩ — ( يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ) ١٠٦

يأيها المؤمنون إن فيما أمرتكم به الإشهاد فى الوصية ، فانتخبوا لذلك شاهدين من أقاربكم ذَوَىْ عدل ، أوآخرين من غير أقاربكم إن كنتم على سفر وأصابتكم مصيبة الموت .

و إن ارتبتم فى شهادتهما فاحجزوهما بعد الصلاة فيقسمان لكم قائلين : لانستبدل بالقَسَم عرضاً من الدنيا ، ولا نكتم شهادة الله ، فإن فعلنا نكن إذن من المذنبين .

## سورة الأنعام

١٠ — ( وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ) ٧٠

أى و إن تفد كل فداء (العدل: الفدية ، لأنها تعادل المفدى ) لايؤخذ منها ، أولئك الذين أسلموا إلى الهلاك بما كسبوا من الذنوب ، شرابهم من ماء مغلى ، ولهم عذاب أليم بسبب كفرهم .

١١ — ( وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ، لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) ١١٥

أى وتمت كلمة ربك صدقاً فى الأخبار والمواعيد ، وعدلاً فى الأقضية والأحكام ، لامبدل لكلماته وهو السميع العليم .

١٢ — ( وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ) ١٥٢

بعد أن قال الله تعالى فى الآية المذكورة قبل هذه مامعناه : ولا تقربوا مال اليتيم حتى يبلغ الرشد ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط أى بالعدل ، قال :

وإذا قلتم فاعدلوا ، أى وإذا حكمتم فاعدلوا ولو كان الخصم قريبًا لكم.

## سورة الأعراف

١٣ — ( وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ) ١٥٩

أى من اليهود أمة يهدون الناس بالحق ، ويعدلون فى الحكم بالحق أيضاً .

١٤ — ( وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ) ١٨١

أى وممن خلقنا أمة يهدون الناس بالحق ، وبالحق يعدلون فى الحكم .

## سورة النحل

١٥ — ( وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) ٧٦

وضرب الله مثلاً رجلين : أحدهما أخرس لايقدر على شئ من الأعمال لنقص فى قواه العقلية ، وهو عالة على ولىّ أمره ، إلى أى جهة يرسله لا ينجح ، فهل يستوى هذا الرجل ورجل تامّ العقل ، ذوفهم وكفاية ، يأمر بالعدل والإحسان ، وهو على صراط مستقيم .

١٦ — ( إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) ٩٠

إن الله يأمر بإقامة العدل و بالإحسان ، و إعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه ، وينهى

عن الفحشاء ( الزنا ) والمنكر والمعاصى والظلم ، يعظكم لعلكم تتذكرون .

فى هذه الآية أمر بخصال كريمة عليها نظام العمران والسعادة ، ونهى عن خصال تخالف ذلك .

## سورة الإسراء

١٧ — ( وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) ٣٥

وأتموا الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم ( أى بالميزان العادل ) ذلك خير لكم ، وأحسن عاقبة .

## سورة الشعراء

١٨ — ( أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ) ١٨١ — ١٨٣

أوفوا الكيل ولا تنقصوا الميزان ، وزنوا بالميزان العادل ، ولا تهضموا حقوق الناس ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، أى ولا تنقصوهم حقوقهم ، ولا تفسدوا فى الأرض .

## سورة الشورى

١٩ — ( وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ) ١٥

أمرنى ربى أن أعدل بينكم ، فلا أحابى طائفةً ولا جنساً ، الله ربنا وربكم ، لنا جزاء أعمالنا ، ولكم جزاء أعمالكم ، لامحل للخصومة بيننا بعد ظهور الحق ، سوى مايزينه العناد والشقاق ، والله يجمع بيننا وإليه المآب .

## سورة الحجرات

٢٠ — ( وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا

عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ) ٩

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن تعدّت إحداهما على الأخرى فقاتلوها حتى ترجع لأمر الله ، فإن رجعت إحدى الطائفتين فأصلحوا بينهما بالعدل ، وأنصفوا إن الله يحب المنصفين .

## سورة الطلاق

٢١ — ( فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْفَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلهِ ) ٢

فإذا بلغ المطلقات آخر عدتهن فراجعوهن إن شئتم ، وأحسنوا معاشرتهن أوفارقوهن مع توفية جميع حقوقهن ، وأشهدوا فى حال مراجعة المرأة أوفراقها ( شاهدين عدلين ) وعلى ذينك الشاهدين أن يقيما شهادتهما لله ولا يكتماها ، ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .

---

## بعض أحاديث فى العدل والقضاء بالعدل

١ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ طَلَبَ قَضَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَنَالَهُ ، ثُمَّ غَلَبَ عَدْلُهُ جَوْرَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ غَلَبَ جَوْرُهُ عَدْلَهُ فَلَهُ النَّارُ » رواه أبو داود .

٢ — وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَدْنَاهُمْ مِنِّى مَجْلِسًا : إِمَامٌ عَادِلٌ ؛ وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنِّى مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ » رواه الترمذى والطبرانى .

٣ — وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« أَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ : إِمَامٌ عَادِلٌ رَفِيقٌ ؛ وَشَرُّ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَامٌ جَائِرٌ خُرْقٌ وَأَحْمَقُ » رواه الطبرانى .

٤ — وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمٰنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ : الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا » . رواه مسلم والنسائى

٥ — وعن عياض بن حمار رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ ( عادل ) مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ » . رواه مسلم

٦ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً ؛ وَحَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ بِحَقِّهِ أَزْكَى فِيهَا مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » . رواه الطبرانى

٧ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يَا أَبَا هُرَيْرَةَ عَدْلُ سَاعَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً ، قِيَامِ لَيْلُهَا ، وَصِيَامِ نَهَارُهَا ؛ وَيَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَوْرُ سَاعَةٍ فِي حُكْمٍ ، أَشَدُّ وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَعَاصِي سِتِّينَ سَنَةً » .

وفى رواية: « عَدْلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً » . رواه الأصبهانى

٨ — وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِي الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةٌ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ » رواه أحمد ، وابن حبان فى صحيحه ، ولفظه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُدْعَى الْقَاضِي الْعَادِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَلْقَى مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي عُمْرِهِ قَطُّ » .

# الموضوعات

## ١ — ذكر ما قيل فى العدل

### أقوال الخلفاء ، والعلماء ، والحكماء ، والأدباء

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لبعض عمّاله : عليكم بالعدل ، وتباعدوا عن الجور ( الظلم ) ولا تغدروا إن عاهدتم ، ولا تنقضوا إن صالحتم .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمرو بن العاص : ياعمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

وقال فى إحدى خطبه : أيها الناس من رأى منكم فىّ اعوجاجا فليقوّمه ؟ فقام رجل وسط الجماعة ، وقال : والله لو رأينا فيك إعوجاجا لقومناه بحد السيف . فقال : أحمد الله الذى جعل فى هذه الأمة العربية من يقوّم إعوجاج عمر بسيفه . فهل بعد هذا دليل على شدة تمسكه بالحق والعدل ؟

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : العدل صورة واحدة ، والظلم صور كثيرة ، ولهذا سهل ارتكاب الجرائم ، وصعب تحرى العدل .

وسأل الإسكندر أحد حكماء أهل بابل « أرسطاطاليس » : أيما أبلغُ عندكم : الشجاعةُ أم العدلُ ؟ ! فأجاب : إذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة .

وقال بعض الحكماء : بالعدل والإنصاف ، يكون الاتحاد والائتلاف ، ويزول النزاعُ والاختلاف .

وقال بعض الأدباء : إن العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق ، ونصبه للحق ؛ فلا تخالفه فى ميزانه ، ولا تعارضه فى سلطانه ، واستعن على العدل بخلّتين : قلة الطمع وكثرة الورع .

وقال عمرو بن العاص : لا سلطان إلا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله حينما استأذنه فى تحصين مدينته : حصنها بالعدل ، ونقّ طرقها من الظلم .

وقال عبد الله بن طاهر يوماً لأبيه : كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم فى بيتنا ؟ فأجابه : مادام بساط العدل والإنصاف مبسوطاً فى هذا الديوان .

وقال أحد الشعراء :

العدل فى جسم الولاة جواهر ... لو مات جسم فالجواهر باقيه

وقال آخر :

العدل روح به تحيا البلاد كما ... دمارها أبداً بالجور يتحتم

وقال آخر :

راعوا العدالة يا قضاة بحكمكم ... فالعدل أشرف خطة الإنسان

إن تحكموا بالعدل تلقوا راحة ... وعلى الأسرّة ترقدوا بأمان

وقال بعضهم : عدل السلطان يقوم مقام خصب الزمان .

وجاء فى الأمثال : « فى بيته يؤتى الحكم » أى يحضر الشاهد العدل .

« أعدل من ميزان » : ( يضرب للرجل الذى يحكم بين الناس بالقسطاس المستقيم )

وقيل : إن الملك يدوم مع العدل وإن كان صاحبه كافراً ، ولا يدوم مع الظلم وإن كان صاحبه مؤمناً .

وكان كسرى أنوشروان يسمى : بالملك العادل ، ويكفيه فى الشرف والفخر وعلو الذكر والقدر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حيث قال : « وُلِدْتُ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ » .

ولما قيل لكسرى : بماذا استحق الملك هذه الصفة ؟ قال : لأنى جعلت العدل أكبر همى ، وحملنى عليه قول الحكيم الفاضل :

لا ملك إلا بالجند ، ولا جند إلا بالمال ، ولا مال إلا بالبلاد ، ولا بلاد إلا بالرعايا ، ولا رعايا إلا بالعدل ، فلزمت العدل واعتمدت عليه فأمنت الرعايا وعمرت البلاد .

وقد نقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه قوله : العالم حديقة سياجها الشريعة ، والشريعة سلطان يجب لها الطاعة ، والطاعة سياسة يقوم بها الملك ، والملك راع يعضده الجيش ، والجيش أعوان يكفلهم المال ، والمال رزق تجمعه الرعية ، والرعية سواء يستعبدهم العدل ، والعدل أساس قوام العالم .

وقال الحسن البصرى : أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى[١] ، ولا يخشوا الناس[٢] ولا يشتروا بآياتى ثمنا قليلا ، ثم قرأ : ( يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ[٣] فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ[٤] لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ[٥] ).

وقرأ ( إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى[٦] وَنُورٌ[٧] يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا[٨] لِلَّذِينَ هَادُوا[٩] وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ[١٠] بِمَا اسْتُحْفِظُوا[١١] مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ[١٢] فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ[١٣] وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي[١٤] ثَمَنًا قَلِيلًا ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ[١٥] فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ[١٦] ) .

وقال بعضهم : لو أنصف الناس لاستراح القاضى ، وصار كل عن أخيه راضياً .

## ٢ — أقسام العدل

ينقسم العدل إلى قسمين : عدل المرء مع نفسه ، وعدله مع غيره ، وذلك الغير إما أن يكون فرداً أو جماعةً .

---

(١) هوى النفس فى قضائهم . (٢) كخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد .
(٣) عن الدلائل الدالة على توحيد الله . (٤) عن الإيمان بالله تعالى .
(٥) لو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا فى الدنيا وحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى .
(٦) يهدى إلى الحق . (٧) يكشف ما استبهم من الأحكام . (٨) انقادوا لحكم الله .
(٩) تابوا من الكفر . (١٠) الزهاد والعلماء . (١١) استودعوا .
(١٢) رقباء . (١٣) هذا نهى للحكام أن يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم أو كبير . (١٤) ولاتستبدلوا بأحكامى التى أنزلتها . (١٥) مستهينا به .
(١٦) قال ابن عباس : من لم يحكم به جاحداً فهو كافر ، وإن لم يكن جاحداً فهو فاسق ظالم .

فأما عدله مع نفسه ، فهو سلوك سبيل الاعتدال فى العقيدة والعمل ، فلا يتمرد على الله تعالى ورسله ، ولا يخرج عن البراهين الصحيحة ، ولا يلقى بنفسه فى تيار الشهوات القاتلة ، ولا يطيع غيّه وهواه ، وبذلك ينجو من شقاء الدنيا ، ويسلم من أمراض الشهوات البدنية والعقلية ، ويقى نفسه ناراً وقودها الناس والحجارة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ومن لم يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، وعرضها للهلاك والخسران فى الدنيا والآخرة .

أما عدله مع غيره ؛ فإنه يترتب عليه السلامة فى الدنيا من شرور الناس وحقدهم عليه والأمن على نفسه وأهله وما أنعم الله عليه من نعم فى دار الدنيا ، والنجاة من هول يوم القيامة ، والسعادة الخالدة فى دار النعيم . وله أمثلة كثيرة نكتفى بذكر المهمّ منها هاهنا :

## ١ — المثال الأول

### عدل ولاة الأمور مع رعيتهم

وهو أهم أنواع العدل وأعلاها قيمةً وقدراً ، لأنه يترتب عليه سعادة المجتمع وصلاح أفراده ؛ فإن الحاكم العادل لايقصر فى شىء من واجبه مع رعيته ، ولايهمل شيئاً يرقى أبدانهم وعقولهم وأخلاقهم ، ويحفظ عليهم أموالهم ودماءهم وأعراضهم ويكون لهم مثلاً أعلى فى معاملة بعضهم بعضاً بالعدل والإنصاف .

فالحاكم كالقلب من الجسد إذا صلح صلح ، وإذا فسد فسد كما ورد فى الصحيح فلهذا كانت مسئولية ولاة الأمور عظيمة فى نظر الشريعة الإسلامية ؛ وقد حذر منها النبى عليه أفضل الصلاة والسلام تحذيراً شديداً .

روى عن أبى ذرّ رضى الله عنه قال : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي ؟ قَالَ : فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَ بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » رواه مسلم .

وحقها فى نظر الدين : أن يقوم بكل شىء فيه مصلحة المحكومين .

قال سيدنا عمر : والله لو عثرت بغلة فى العراق لوجدتنى مسئولاً عنها ، فقيل : لماذا ياأمير المؤمنين ؟ فقال : لأننى مكلف بإصلاح الطرق .

هذا مثال الحاكم العادل ، ولهذا جعل الله له فضلاً عظيماً ، وميزةً كبرى ؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » .

وقد اشتمل هـذا الحديث الشريف على جميع الكمالات الإنسانية .

فالإمام العادل هو الذى تنصلح به رعيته ، و يستقيم به أمر دينها ودنياها ، وهوأعظم السبعة قدراً ، وأجلّهم منزلة ، ومن أجل هذا بدأ به عليه الصلاة والسلام .

وأما الشاب الذى نشأ فى طاعة الله ، فهو خـير لنفسه ولغيره ، لأن من يتعود العمل الصالح لاتطغى عليه شهوته ، فلا يقع منه شر لنفسه ولا لغيره .

وأما الذى قلبه معلّق بالمساجد ليؤدى فيها الصلاة التى فرضها الله عليه فى أوقاتها ، ويحرص على عمارتها ، فإن صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، لأن من يتعلق بالمساجد لابد أن يكون ذلك ناشئاً من خشية الله تعالى ، ومن شعر قلبه بخشية ربه ، وصلى له خاشعاً خاضعاً ، فإنه لامحالة ينتهى عن الفحشاء والمنكر ، فلا يقع منه شر لنفسه ولا لغيره .

وأما المحبة لله تعالى فمعناها التعاون على البرّ والتقوى ؛ فمن أحب غيره لهذا الغرض ، فقد خدم نفسه ، وخدم الناس أجل خدمة .

وأما الذى دعته امرأة ذات حسب وجمـال لنفسها فامتنع خوفاً من الله ، فذلك هو الرجل الذى ملك شهوته ، وجعل لعقله عليها سلطاناً عظيماً ، فهو أمين على عرضه ، وعلى أعراض الناس ، وجدير أن تكون له تلك المنزلة .

وأما الذى يتصدق بصدقات خفية ، فذلك الرجل الذى هو خير و بركة على عباده ،

فإنه يغيث المكروب ، ويطعم البائس والمضطر ، ولا يحب أن يمن على الفقير فيؤذيه بمنه ، ولا يحب أن يعمل رياء الناس ، فإن مدحوه فعل ، وإن لم يمدحوه ترك .

ومثل هذا جدير برضاء الله تعالى وحسن جزائه .

وأما الذى تفيض عيناه عند ذكر ربه فهو المؤمن حقًّا الذى قال الله فيه :

( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ) .

فهؤلاء السبعة جديرون برحمة ربهم وإحسانه ، وأهل لأن يقيهم الله تعالى هول يوم القيامة .

( يَوْمَ تَذْهَلُ ) فيه ( كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَاهُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ) .

ويتبع عدلَ الولاة والسلاطين عدلَ القضاة والشهود ، وهو أهم ركن تقوم عليه سعادة المجتمع ، وينبنى عليه أمن الناس على دمائهم وأعراضهم وأنفسهم .

فإذا جار القاضى ( أى ظلم ) ولم يقسط الشهودُ ، فإن النظام يختل ، وتسود الفوضى .

ولهذا كانت مسئولية القاضى شديدة فى نظر الإسلام ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ ؛ فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ » . (رواه أبوداود والترمذى وابن ماجه)

فالقاضى الممدوح فى نظر الدين هو الذى يعرف الحق ويقضى به .

فأما معرفة الحق فإنها تحتاج إلى مجهود عظيم ، وبحث فى كل الظروف والأحوال المحيطة بالخصوم .

وأما الحكم بالحق فإنه يحتاج إلى مجاهدة عظيمة حتى يتنزه القاضى عن التحيز والميل مع أقربائه أو أصدقائه ، أو من تربطه معهم رابطة ، أو تجمعه معهم جامعة ، أو يكون له فى الميل غرض يناله من مال ، أو منصب أو شهرة .

فالقاضى لا ينجو إلا إذا كان بالنسبة إلى الخصوم كالميزان المنضبط ؛ فلا يميل

مثقال ذرة إلى واحد منهم إلا بالحق ، ومن لم يفعل ذلك فإنه يتحقق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ وُلِّيَ الْقَضَاءَ ، أَوْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ ، فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ » .

(رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ورواه غيره)

ومعنى الحديث: أنه عرّض نفسه للهلاك والعذاب الأليم ، وهذا إن لم يقض بالحق كما تقدم فى الحديث الأول .

وبديهى أن الركن الأعظم الذى يعرف القاضى به الحق هم الشهود ، فإذا تحيزوا وشهدوا زوراً ، وضللوا القاضى ، فقد احتملوا كل هذه المسئولية ، وكانوا من أشقى الخلق ، وأتعسهم عند الله وعباده .

من أجل ذلك قال الله تعالى : ( يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ (العدل) شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ) .

قوامين : مواظبين على العدل فى جميع الشئون والأحوال ، فلا يحل لكم أن تتخلفوا عنه فى أىّ حال .

شهداء لله : تشهدون بالحق ابتغاء مرضاة الله تعالى ، فلا تحملنكم الأغراض الدنيوية على التحيز وشهادة الزور .

ولو على أنفسكم : مبالغةً فى الحث على أداء الشهادة على وجهها ، لأن الشهادة لاتقع من الإنسان على نفسه ، وإنما الذى يقع منه يسمى إقراراً ، إلا إذا أريد بالشهادة بيان الحق مطلقاً فتشمل الإقرار .

أوالوالدين والأقربين : رأى بعض أئمة المسلمين أن شهادة الولد لوالديه ، وبالعكس جائزة أخذاً من هذه الآية .

ولقد روى بعضهم : أن سلف المسلمين كانوا على ذلك حتى تغيرت أخلاق الناس ، فعدلوا عن ذلك .

وقد علمت أن الغرض إنما هو المبالغة فى الحث على قول الحق ، فلا يلزم منه ما ذكر .

وقوله : إن يكن غنيًّا أوفقيراً ، معناه : أن الشاهد ينبغى أن لا يلتفت لأى سبب من الأسباب الموجبة للتحيز ، سواء كانت صلة قرابة ، أوكانت عاطفة شفقة أو رحمة ، كما إذا خشى أن يشهد على فقير فيضره فى ماله أوهيبته ، وخوفاً من غنى ، وغير ذلك .

بل يجب على الشاهد أن لا يعرف فى هذا المقام سوى الله تعالى الذى يأمره بأن لا يلتفت عن قول الحق قيد شعرة .

فلا تحملنكم أهواؤكم وأغراضكم على أن لا تعدلوا فى حقوق الناس ، وإن تلووا ألسنتكم فلا تأتوا بالشهادة على وجهها ، أو تعرضوا عن أداء الشهادة رأساً فإن الله كان بما تعملون خبيراً . فيجزيكم على ماعصيتموه .

وقال تعالى :

( يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللّٰهَ ، إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) .

لا يجرمنكم ، أى لا يحملنكم شنآن قوم ( شدة بغضكم لهم ) على أن لا تعدلوا فى حقوقهم ، أعدلوا يأيها المؤمنون فى أعدائكم وأوليائكم فإن العدل هو أقرب للتقوى ؛ أى أدخل فى مناسبتها ، وأشد الأمور شبهاً بها ؛ لأن التقوى نهاية الطاعة ، والعدل أساس الفضائل .

فهذا قول الله وقول رسول الله فى الحث على عدل ولاة الأمور والقضاة والشهود فعلى المسلمين أن يعملوا به ، وأن يتبعوه فى كل أمورهم ليظفروا بالسعادة فى الدنيا والآخرة ويكونوا من الفائزين .

## ٢ ـ المثال الثانى

### عدل رؤساء الأسر والقبائل

فإذا وفق رئيس أسرة أو زعيم قوم إلى إقامة العدل بينهم فإنه يحيا معهم حياة طيبة مباركة ، ويعيش هو وهم فى عيشة راضية مرضية .

فإنّ عدل الرئيس يوجب استمرار روابط المودة والوئام بينه وبينهم من جهة وبينهم وبين بعضهم من الجهة الأخرى ، فضلاً عما يترتب على ذلك من اقتدائهم به قدوةً حسنةً فإنه يكون مثالاً صالحاً للصغير والكبير ، فيشب الصغير على حب العدل مع نفسه ومع غيره ، ويعامل الكبير الناس بالعدل ، وبذلك يكفون شر المظالم الداخلية والخارجية .

أما إذا كان الرئيس ظالمًا فإنه يكون شرًا ووبالاً على نفسه وعلى مرءوسيه ، فإن المظلوم منهم يحقد عليه وعلى من ظلمه لأجله فتنقطع بينهم روابط القربى وعلاقات المودة ويمعن كل واحد فى الإضرار بالآخر .

فضلاً عما يسرى لهم من خلق الظلم فيتسلطون على خلق الله فيظلمونهم وبذلك يكونون من أشقى خلق الله .

ولقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من نيط به عمل مسئولاً عن العدل فى ذلك العمل .

وليس العدل قاصرا على السلاطين وولاة الأمور والقضاة والحكام ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » .

( رواه البخارى ومسلم )

وهذا الحديث صريح فى أن كل فرد من الأفراد مطالب بتحقيق العدل بنسبة ما يكلف به من الأعمال .

فرئيس الأسرة والقبيلة يجب عليه أن يعمل على تحقيق العدل بينهم فلا يظلمهم فى مطعم ، أو مشرب ، أو مسكن ، ولا يدنى هذا ، و يقصى ذاك بدون سبب يستدعى ذلك من عقوبة على ذنب ومكافأة على خير .

ولا يهمل أمر تربيتهم وتعليمهم مالهم وما عليهم من الواجبات ، ولا يقصر مع واحد منهم فى تعليمه مايفعه فى دينه ودنياه ، ولا يذرهم يعتدون على أموال الناس أو أعراضهم ، و يتعهد تهذيب نفوسهم و إصلاح أخلاقهم .

فإذا ترك الرئيس شيئاً من ذلك ؛ فإنه يكون ظالمًا مسئولاً عن تقصيره هذا وعن كل ما يترتب عليه من المآثم بين يدى أحكم الحاكمين الذى لايعزب عن علمه مثقال ذرة وسيجزى الناس على أعمالهم يوم يبعثون .

وأما المرأة فإنها مسئولة عن تدبير منزلها بما يوافق حال زوجها ، فلا ترهقه فى الإنفاق ، ولا تظلمه بطلب مالا يقدر عليه ، ولا تخونه فى عرضه وماله ، ولا تفعل ما يؤذيه .

وكذلك يجب عليها أن تعدل بين أبنائها فيما بين يديها من طعام وشراب ، فلا تفضل واحدا على أخيه من غير حق بل تعطى كل واحد ماينا سبه ، فلا تحرم من تبغض وتجزل العطاء لمن تحب ؛ فإن خانت زوجها فى عرضه أو ماله أو آذته بعصيانها أو فضلت بعض أولادها على بعض كانت ظالمة تستحق عند الله سوء العقاب .

وأما الخادم أو العامل فهو مسئول عن العمل الذى يسند إليه ، والمال الذى يؤتمن عليه ، فإذا أهمل العامل عملاً أو أداه ناقصاً فقد ظلم سيده واستحق عقاب الله تعالى .

وكذلك الخادم إذا خان سيده فى مال ، كأن كلفه بشراء شىء فزاد فى ثمنه وأخذه لنفسه ، أو أهمل مساومة التاجر فغبنه فى السلعة ، أو رأى أحداً يعتدى على مال سيده فلم يرده ، أو كلفه بالانفاق على عمله فأسرف فيه بدون حق أو غير ذلك فإنه يكون آثماً ظالماً يستحق العقوبة التى أعدها الله للظالمين فى الدنيا والآخرة .

ومن هؤلاء الصناع الذين يتعاقدون على عمل شيء لا يُجيدون صنعه و يغشون الناس فإن لهم عقاب الظالمين ، وعليهم إثم الغاشين ، كالبنائين والنجارين والحدادين ونحوهم .

فإن هؤلاء جميعاً مكلفون بالعدل فى صنائعهم بأن يجيدوها ولا يتركوا باباً من أبواب الخلل إلا أصلحوه .

متى فعلوا ذلك لوجه الله تعالى وابتغاء ما عنده فإن الله يبارك لهم فى الدنيا ، و يثيبهم على ذلك فى الآخرة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ » .

( رواه ابن حبان فى صحيحه )

فهؤلاء مسئولون جميعاً عن العدل فمن حفظ ماوكل إليه من الأعمال فله جزاء الحسنى ، ومن ضيعه فله سوء العذاب .

عبد الرحمن الجزيرى

عن مجلة نشر الفضائل . السنة السابعة ـ العدد ـ ٣٦

---

## ٣ ـ العدل الشامل وضروبه

عنى الإسلام بإقامة العدل عناية عظيمة ؛ لأنه أُسُّ الملك وقوامه وعدته ونظامه فقال تعالى :

( إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ) . وقال تعالى : ( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ـ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ـ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ) .

وسرّ ذلك أن العدل الشامل يدعو إلى الطاعة و يبعث على الألفة و يستوجب المودة وتعمر به البلاد وتنمى به الأموال ، وليس شيء أسرع فى خراب الأرض ولا أفسد لضمائر

الخلق من الجور : لأنه لا يقف عند حده ولا ينتهي إلى غاية ، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل . تأمل قوله صلى الله عليه وسلم .

« ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : فَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ : فَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَخَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ؛ وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ : فَشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » .

وانظر قول الإسكندر لحكماء الهند — وقد رأى قلة الشرائع بها — : لم صارت سنن بلادكم قليلة ؟ قالوا : لإعطائنا الحق من أنفسنا ، ولعدل ملوكنا فينا ، فقال لهم :

« أيما أفضل : العدل أم الشجاعة ؟ » .

قالوا : إذا استعمل العدل أغنى عن الشجاعة . وتدبر قول بعض البلغاء : إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ، ونصبه للحق ، فلا تخالفه في ميزانه ، ولا تعارضه في سلطانه ، واستعن على العدل بخصلتين : قلة الطمع ، وكثرة الورع .

## ضروب العدل

للعدل ضروب شتى :

منها : عدل الإنسان في نفسه ، وذلك بحملها على الصالح ، وكفها عن الفضائح ، ثم بالوقوف في أحوالها على أعدل الأمرين : من تجاوز أو تقصير ، فإن التجاوز فيها جور ، والتقصير فيها ظلم ، ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم ، ومن جار عليها فهو على غيره أبلغ جوراً

انظر إلى قول بعض الحكماء : من توانى في نفسه ضاع .

ومنها : عدل الإنسان فيمن دونه ، كالحاكم في رعيته ، والرئيس مع مرءوسيه ، وعدله فيهم يتحقق بأمور أربعة : اتباع الميسور ، وحذف المعسور ، وترك التسلط بالقوة ، وابتغاء الحق في السيرة ؛ لأن اتباع الميسور أدوم ، وحذف المعسور أسلم ، وترك التسلط أوجب للمحبة ، وابتغاء الحق أبعث على النصرة ؛ ومن لم تجتمع له هذه الأمور من الحكام أو الرؤساء كان الفساد بنظره أكثر ، والاختلاف بتدبيره أظهر .

تأمل قوله صلى الله عليه وسلم : أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ أَشْرَكَهُ اللهُ فِي سُلْطَانِهِ فَجَارَ فِي حُكْمِهِ » .

وتأمل قول بعض الحكماء : أقرب الأشياء صرعة الظلوم ، وأنفذ السهام دعوة المظلوم .

وقول (أزدشير بن بابك) : إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن طاعته .

وقول (أنوشروان) لما عوتب على ترك عقاب المذنبين : هم المرضى ونحن الأطباء ، فإذا لم نداوهم بالعفو عنهم فمن لهم ؟ .

ومنها : عدل الإنسان مع من فوقه : كعدل المحكومين مع الحكام ، والمرءوسين مع الرؤساء ، وقوام ذلك إخلاص الطاعة ، وبذل النصرة ، وصدق الولاء ، فإن إخلاص الطاعة أجمع للشمل ، وبذل النصرة أدفع للوهن ، وصدق الولاء أنقى لسوء الظن ؛ ومن لم تتم له هذه الأمور من المرءوسين سلط عليه من كان يدافع عنه ، واضطر إلى اتقاء من كان يقيه ، وفى هذا يقول البحترى :

متى أحرجت ذا كرم تخطى إليك ببعض أخلاق اللئام

وما أبدع قول بعض الحكماء : إن الله لا يرضى عن خلقه إلا بتأدية حقه ، وحقه شكر النعمة ، ونصح الأمة ، وحسن الصنيعة ، ولزوم الشريعة .

ومنها : عدل الإنسان مع إخوانه ونظرائه ، وآية ذلك ترك الاستطالة ( التطول والامتنان ) واجتناب الإدلال ( مجاوزة الحد فى التجنى ) ، وكف الأذى ، فترك الاستطالة أدعى إلى الألفة ، ومجانبة الإدلال أبقى للعطف والرحمة ، وكف الأذى مروءة ونصفة .

تأمل بديع قوله صلى الله عليه وسلم : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِ النَّاسِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَارَسُولَ اللهِ ، قَالَ : مَنْ نَزَلَ وَحْدَهُ ، وَمَنَعَ رِفْدَهُ ( معونته ) وَجَلَدَ عَبْدَهُ : ثُمَّ قَالَ : أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ ؟ قَالُوا : بَلَى يَارَسُولَ اللهِ ، قَالَ : مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ ؟ قَالُوا : بَلَى يَارَسُولَ اللهِ ، قَالَ : مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ » .

وانظر إلى قول بعض الحكماء فى أن قبح الظلم فى صوره المختلفة ومعانيه المتغايرة: الحاكم السوء ، يخيف البرىء ، ويضع الدنىء ؛ والبلد السوء يجمع السَّفْل ، ويورث العلل ، والولد السوء يشين السلف ، ويهدم الشرف ؛ والجار السوء يفشى السر ، ويهتك الستر ، ؛ فما أنفع العدل ، وما أضر الجور !

## ٤ – العدل وأثره فى حياة الأمم

ترى الرئيس العادل فتعرف فيه صولة الحق ، وصدق الرجولة ، وسموّ الضمير ، ويقظة الروح الأبية الطامحة إلى كل شريف من العمل ، وصادق من القول ، وتبحث عن حياته الخاصة وثمراتها ، فترى سعادته نتيجة حسن العمل ، وهناءه قريناً برضا النفس ، والرقى ناشئاً عن النظام وأداء الواجب .

وتسأل عن تاريخه فى سياسة رعيته ، فتعرف كيف سجل فى ديوان كفاحه قصة البطولة فى ميدان الجهاد ، والظهور على عوامل الفساد ؟ وتعلم كيف يصارع بالعدل الظلم فيصرعه ، وكيف يناهض بالحق الباطل فيدفعه ؟ وكيف يهنأ الناس به ويسعدون ؟ لأنه أصلح بينهم ، ووفاهم حقوقهم ، لأنهم لا يَظلمون ولا يُظلمون ، ولا يميلون عن الشرف ، ولا يتورطون فى إجرام ذلك .

هو الإمام العادل فى رعيته ، أوالحاكم بالحق فى قضيته ، أوالرجل الحازم فى أسرته ، هى الحياة : لا يمكن أن يستقيم مائلها ، ولا يطرد تدبيرها ، ويحسن أمرها حاكم أومحكوم ، ويملك زمامها إلا بالعدل .

والإنسان الذى نما وتفرع من جذع الشجرة الآدمية ، ليملأ فراغ العالم بالخير ، ويسد رحبة الكون بعمارة الأرض ، لا يكون جديراً باسم الإنسان حتى يسوس بالعدل نفسه وماله ، وأسرته ، ووطنه ، والإنسانية كلها .

فالرجل يعدل فى نفسه إذا جملها بالحكمة ، وطمأنها بالواجب ، وزينها بالإخلاص ، وأنعشها وسرها ببرىء اللهو وحسن المتاع ، وجنّبها سبل الميل إلى الهوى ، والزيغ عن الهدى ، فلاهو بالمهمل الكسول ، ولا بالمفرط المتعنت ، وإنما هو إنسان يعمل ويستريح ، ويبذل ويكف ، ويجاهد وينتظر ، ويسعى ويؤمل ، ويوافق فى مبدئه روح الإسلام ، فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام ما معناه :

« أَنَا إِنْسَانٌ أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ ، وَهٰذِهِ سُنَّتِي ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » .

ولعل الناظر فى قوانين الإسلام ، وأحكامه فى العبادات والمعاملات وغيرها ، يرى أنه بنى على أساس العدل وفكرته ، حتى ليكاد يوقن أن العدل هو الإسلام ، والإسلام هو العدل ، وأن الله يبعث بتعاليم الإسلام السامية ، روح العدل العالية فى نفوس المؤمنين العاملين .

( إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) .

فالعدل لأهميته فى حياة البشرية أنزلت الشرائع السماوية لبثّه ونشره ، ورسل الله هم الذين أرسلوا ليقوموا بحراسته ، وتوزيعه بين الناس ، حتى تهنأ الإنسانية ، وتكمل لها عوامل النمو ، وتدفع عنها عاديات الظلم من الشقاء والفناء ؛ ماجعلت القوة التنفيذية والزواجر والحدود إلا لحراسته ، وفى هذا يقول الله تعالى :

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ( بالعدل ) ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ) .

والناظر فى التشريع الإسلامى ، يرى هذه الناحية فيه بشكل أتمّ ، فلقد جمع بين مطالب الروح والجسد ، فأباح التناول من طيبات الرزق ، ليقوى الإنسان على أداء واجبه ، وفى غير إسراف حتى لا يكون شهوانيًا ، وحضّ على العلم النافع ، ومكارم الأخلاق لتحيا الروح ، ويؤدى الإنسان واجبه فى عمارة الكون ، وإسعاد مجتمعه ، ونهى عن المغالاة فى العمل ، وحمل ما لايستطاع .

وفى الحديث : « إِنَّ هٰذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ ، فَإِنَّهُ لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ » .

ورفع الفوارق بين الطبقات فى المعاملة ، وجعل الإنسان رهين عمله ، وطلب العدل حتى مع الحيوان ، فأسقط عدالة من يضرب دابته بغير سبب .

والعدل يأتى فى شئون الحياة ومرافقها ، فيكون فى المال بأن ينفق صاحبه ما يحتاج إليه ، ويلاحظ فيه واجبه نحو أخيه الإنسان ، فيشبع جوع الفقير ، ويكسى جسد العارى ، ويزيل ألَمَ الأرملة واليتيم والمسكين ، ويبذل للناس جزءاً من ذلك العَرَض الزائل ، ليبذلوا له ودًّا باقياً ، وحبًّا دائما ، وبذلك لا يكون من البخلاء المقلّين .

ثم يدخر لنفسه وأهله ماينفعه فى النازلات ، و يعينه فى النائبات ، حتى لا يكون من المسرفين المبذرين . قال الله تعالى :

( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ) .

ويكون فى الحكم بأن يكون فى حكمه قوى الإرادة ، شجاعاً فى الحق ، يقول قوله مراعياً فيها ضميره وخالقه ، لايخشى فيها أحداً ، ولا يحابى عظيماً ، ولا يعين ظالماً ، ولا يسمع لشهادة مزورة ، وذلك لعمرى هو الرجل ، ولقد قيل قديماً :

« لو أنصف الناسُ أنفسَهم لاستراح القاضى » .

ونعود إلى بيان عدل الحاكم ، وأثره لأهميته ، وارتباط سعادة المحكومين به فنقول :

الملك العادل فى رعيته هو أول بانٍ فى صرح نهضة البلاد ، وخير عامل لسموّ مكانة الأمة بما يضرب به للشعب من مثل النزاهة والشرف ، وما يقدمه للناس من نظم الخير والإصلاح ، وما يقوم به من إرجاع الحق لصاحبه ، ومعاملة الكل بالمساواة ، والضرب على يد الظالم المستبد ، أن تعبث بجلال النظام ، ونعمة الأمن ، فتزعج الهادئين ، وتخيف الوادعين .

بذلك يتبين أن العدل طريق كمال الرجل ، وسبيل هناءة الأسرة ، وهو من الأغنياء تخفيف لألم البؤس والفاقة ، ومرارة الفقر والحرمان .

ومن الحكام : نصر الضعفاء والمهضومين ، وقمع الظلمة والجبارين .

ومن الملك : سموّ بالشعب إلى العلا ، وسير بيّن نحو الكمال .

وما كان لأمة أن تنهض بدون العدل ، لأنها لاتستطيع أن تحيا على نقص رجالها ، وقلق أسرها ، ولا أن تعيش على فساد نظامها ، وسوء سياستها ، ولا يمكن أن تسعد ، وفيها من عوامل الشقاء ، جوع فى البطون ، ونقص فى الضمائر ، وجور فى الحكم ، وضعف فى القيادة .

وما أحسب مشاكل الإنسانية اليوم ناشئةً إلا عن جور بعض الدول فى تقدير المجد ، و إسرافها فى النفوذ والسلطان ، و بنائها نهضتها على شقاء الآخرين .

فلا ورب لا يرتاح الناس حتى يعقلوا ، ولا يعقلون حتى يتطهروا ، ولا يتطهرون حتى

يخلصوا ، ولا يخلصون حتى يعدلوا ، وهاهو ميزان العالم فى يد الزمن ، وفى كفتيه سعادة وشقاء .

و بمقياس العدل والجور تتجاذب الكفتان ، والخلق هم الضحايا البائسون إذا جاروا ، أو الإنسانية الهانئة إذا عدلوا واستقاموا .

محمد حسن أبو الخير
مجلة نشر الفضائل العدد ٧ السنة الثامنة

## أقوال فى مدح العدل

قال أنوشروان : العدل سور لايغرقه ماء ، ولا يحرقه نار ، ولا يهدمه منجنيق .

وقيل : عدل قائم خير من عطاء دائم .

وقال قدامة : حسبكم دلالة على فضل العدل أن الجور ( الظلم ) الذى هو جذوة لايقوم إلا به ، وذلك لأن اللصوص إذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم . احتاجوا إلى استعمال العدل فى اقتسامهم ، و إلا أضرّ ذلك بهم .

وقيل : لا يكون العمران حيث لايعدل السلطان .

وقيل لحكيم : ما قيمة العدل ؟ قال : مُلك الأبد . فقيل : ما قيمة الجور ؟ قال : ذلّ الحياة .

وقيل : العدل يسع الخلق ، والجور يقصر عن واحد .

## ٥ — العدالة فى الإسلام

خلاصة مقالات ( لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد على منصور )
منشورة فى مجلة الإسلام بالأعداد ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ من السنة الرابعة عشرة

— ١ —

لكى يزداد الناس يقيناً من إن الدين الإسلامى هو بحق دين العدالة والإنصاف ، يحسن بنا أن نضع تحت أنظارهم صورة مصغرة عن حالة الأمم — ولا سيما الأمة العربية قبل الإسلام — حتى يتبين لهم الفارق الكبير بين حالتهم فى هذه الفترة التى سبقت هذا الدين

الحنيف — ولم تقم فيها للعدالة قائمة — و بين حالتهم بعد أن أظلهم هذا الدين العظيم ، وقرر العدل بين أهله ، ودعا إليه فى غير لين ولا هوادة ، وجعله أساساً هامًّا يجب السير عليه ، والتمسك بأهدابه ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولو تتبعنا أحوال الناس — و بخاصة العرب قبل الإسلام — لوقفنا على حقائق محضة تذوب لأجلها القلوب ، وتشمئز منها النفوس ، لأن حالتهم فى هذه الآونة إن دلت على شئ فإنما تدل صراحة على هدم صرح الفضائل التى لا غنى عنها للأفراد والجماعات المتطلعة إلى الكمال ، الراغبة فى التقدم والرقى، الساعية إلى تخليد ذكراها على تسمية هذا العصر( بعصر الجاهلية ) لأن الناس فيه كانوا منغمسين فى جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ؛ وكانوا لا يعرفون للعدالة اسماً ، بل شاع بينهم الجور والظلم ، فكان قويهم يعتدى على ضعيفهم ، ولا دين يمنعه ، ولا قانون يردعه ؛ و إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، و إذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وكانوا لا يعطون شيئاً من الميراث للنساء ولا للصغار من أبناء الميت ، و إنما يعطونه لمن كان قويًّا قادراً على حمل السلاح ، وملاقاة العدو ، والقتال فى الحروب .

وقد اتخذوا الإغارة والسلب والنهب وسيلةً من وسائل العيش ، فكانوا يغيرون على القبيلة المعادية لهم فيأخذون جمال أهلها ، وهى أعز الأشياء لديهم ، و يسبون نساءهم وأولادهم ، و يستولون على ما يملكون ، و يسومونهم الخسف والهوان ، وتتربص بهم القبيلة الأخرى الدوائر حتى إذا سنحت لهم الفرصة اغتنموها ، وفعلوا بهم مثل ما فعلوا أو أشد ، و بادلوهم سلباً بسلب ، وعدواناً بعدوان .

ولقد نبأنا التاريخ أن القبائل الضعيفة كثيراً ما كانت تضطر إلى الاحتماء بالقبائل القوية لتذود عنها وقت الخطر ، وتقاتل دونها إذا جدَّ الجدُّ ، وانتابها الحيف والعدوان .

ولكن هيهات ! فقلَّ أن يدوم حلفهم ، أو يطول اتحادهم ؛ بل سرعان ما يدب بينهم دبيب النزاع والشقاق ، فينقلب المتحالفون أعداء متحاربين ، وخصوماً متقاتلين .

هذا حالهم ، وتلك بعض صفاتهم ، فكانوا لذلك فى أشد الحاجة إلى دين يضمهم تحت لوائه ، و يجمع كلمتهم ، و يوحد صفوفهم ، و يستل من نفوسهم سخائم الجاهلية ، و يبين لهم الرشد من الغى ، و يهديهم الصراط السوى .

وشاء العزيز الحكيم ، الذى خلقهم فى أحسن تقويم ، ألا يدعهم على هذه الحالة التى تؤذن بالخطر ، فما هى إلا عشية أوضحاها ، حتى ظهر نور الإسلام فأضاء المشرقين والمغربين ، وسارع الناس إلى الدخول فيه أفراداً وجماعات ، ونزل القرآن الكريم على الرسول الصادق الأمين ، جامعاً لكل شئ ، آمراً بالخير والفلاح ، ناهياً عن الهلاك والدمار ، مشتملاً على أسباب السعادة فى الدنيا والعقبى ، هادياً إلى الحق والصراط المستقيم .

جاء الإسلام فقضى على ما كان فى الجاهلية من ظلم وجور ، ورفع منار العدالة والقسطاس ، ودعا إليهما التنزيل الحكيم فى غير موضع منه[1] .

قال تبارك وتعالى : ( إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ) .

وقال جل شأنه : ( إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) .

و بيّن القرآن الكريم أن الناس كلهم مخلوقون من آدم وحواء ، ولا فضل لأحد على الآخر ، وأكرمهم عند الله أتقاهم ؛ فقال جل ثناؤه :

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ) .

وجاءت السنة الكريمة شارحةً كتاب الله العزيز الحميد ، مبينةً للناس ما نزّل إليهم ، داعيةً إلى أشتات الفضائل ، محذرةً عن تنكب جادة الإنصاف والعدل ، وهل وراء ذلك مطلع إلى القسطاس لناظر ، أو زيادة فى العدالة لمستزيد ؟

— ٢ —

و بينما نرى أهل الجاهلية فى شقاق دائم ، ونزاع مستمر نرى أن الدين الإسلامى يأمر بجمع الكلمة ، واتحاد القلوب ، وضم الصفوف ، وتوحيد القوى نحو مقصد شريف ، وغاية سامية ، وهدف نبيل ؛ و ينهى عن التفرق ، و يحذر أهله عاقبته الوخيمة . قال تبارك

(١) وهى المذكورة فى باب العدل فى كتابنا هذا .

وتعالى : ( وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً . وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا . كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ )

و بينما نرى أهل الجاهلية لا يورّثون النساء ولا الصغار من أولاد الميت ، نرى الإسلام يفرض الفرائض الشرعية على أساس محكم ، وقاعدة عادلة تصلح لكل زمان ومكان .

ولما كان القوم قد ألفوا ما كان عليه أسلافهم فى الجاهلية من توريث الأكبر فالأكبر ممن يقدرون على خوض غمار الحروب ، وحرمان النساء والصغار من أبناء الميت ، نرى بعضهم قد شق عليه — بادئ ذى بدء — قبول ماجاء به الإسلام من الفرائض مخالفاً لما ورثوه عن آبائهم فى هذا الصدد .

ولكنهم لم يلبثوا أن علموا أن التشريع الإسلامى تشريع محكم ، قائم على أساس العدالة والإنصاف ، وفى غاية من الدقة والإحكام ، فتقبلوه بقبول حسن ، وعملوا بمقتضاه طائعين راضين « أشربوا فى قلوبهم حب مبادئ الإسلام السامية ، وسارعوا إلى العمل بها عن طواعية ورغبة ، وأيقنوا أنها أتت لخير الخلق أجمعين » .

— ٣ —

ولم يقف الإسلام حيال خرافات الأولين وترهاتهم مكتوف اليدين ، بل أتى عليها من الأساس ، وأبادها من عالم الوجود ؛ فقد كان بعض أهل الجاهلية يعتقد أن للذات فى الآخرة مزية لا تقل عن مزيتها فى الدنيا ، وتطرفوا فى اعتقادهم هذا حتى تحول إلى وهم انتشر فيهم بأن الولد قد يرث منزلة والده الدينية وإن لم يكن أهلا لها وجديرا بها ، كما يرث عنه ماتركه من مال ومتاع .

ولو أمعنت النظر فى مبادئ بعض الأديان الأخرى غير ديننا الإلهى العظيم لوجدت هذا الوهم وذلك الاعتقاد قد وجدا لهما أنصاراً عديدين ، ومحبذين كثيرين .

ولما أشرقت أنوار الإسلام على الوجود ، محا هذا الاعتقاد الواهى ، ومقت ذلك الوهم الساقط ، وقرر فى النفوس أن الناس مجزيون بأعمالهم صغيرها وكبيرها ، خيرها وشرها ، ( يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ ) .

ولقد بيّنَ هذا الدين الحنيف فى صراحة لايعتورها لَبْس ولا خفاء ، أن كل إنسان سيجنى يوم الحساب ماقدمت يداه فى هذه الدار الفانية ، وعند الله الحكم العدل لا تحمل نفس آثمة إثمَ نفس أخرى ، ولو كانت من أقرب الأقربين إليها ، بل كل نفس تنال جزاءها بقدر أعمالها « إن خيراً فخير ، و إن شرًّا فشر » ، ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ) .

وقد جاء التصريح بذلك فى عدة مواضع من التنزيل الحكيم :

قال تعالى فى سورة فاطر ، بعد أن ذكّر الناس بغناه عنهم ، وفقرهم إليه ، وأنه قادر على إذهابهم و إماتتهم ، والإتيان بخلق جديد يطيعونه حق الطاعة .

( يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ . وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ) :

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ، وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ ) .

وقال جل وعلا فى سورة النجم: (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ . أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ . وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ) .

وقد جاء سيد الأولين والآخرين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقوّى هذه القاعدة العادلة ، وقررها فى النفوس ، ومكنها فيها فضل تمكن ؛ أمر يوما بجمع أهله وعشيرته الأقربين ، فانفضت إليه المجالس ، وحضرته قريش وأتاه بنو عبد مناف و بنو عبد المطلب و بنو هاشم وعمه العباس وعمته صفية وكريمته السيدة فاطمة ، رضوان الله تعالى عليها ؛ ولما أخذوا مجالسهم ، والتأم عقد الحاضرين ، قام فيهم الرسول الأعظم خطيباً . فقال بعد أن حمد الله حق الحمد ، وأثنى عليه أبلغ الثناء :

« أَيُّهَا النَّاسُ : اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ — أى عذابه بصالح الأعمال — فَإِنِّي

لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا . يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ مِنَ اللهِ شَيْئًا . يَا بَنِي هَاشِمٍ ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا . يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا . يَا صَفِيَّةُ يَا عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ : لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا . يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ! سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا » .

فإذا كان الرسول الكريم لا يغنى شيئاً عن ابنته رضوان الله عليها ، وهى أحب الناس لديه ، فهل يتصور بعد ذلك أن يغنى أحد من أمته شيئاً عن سواه من الناس ؟ وإن فى ذلك لمنتهى الإنصاف بلا ريب ، وغاية العدالة بلا نزاع .

وهل ترى ديناً غير الدين الإسلامى العظيم جمع السعادة لمعتنقيه ، والهناءة لمتبعيه ؟ كلا . فإن الدين الإسلامى بحق هو دين الفطرة ، ويتمشى مع كل زمان ومكان ، ولم يعرف أمراً يوصل الإنسان إلى السعادة فى الدنيا والآخرة إلا وأمر به ، ولا شيئاً يدفع بصاحبه فى مهاوى الهلاك و بؤر الدمار إلا ونهاه عنه ، وحذره منه .

( وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) .

---

## ٦ — العلوم والعدالة الاجتماعية

بقلم حضرة صاحب العزة الدكتور عبد العزيز أحمد بك

منذ أن قامت الحرب الحاضرة ، ورأى الناس شدائدها وأهوالها التى تصيب المدنيين فى بيوتهم كما تصيب المحارب فى ميادين القتال على السواء ، أخذوا يفكرون فى أسبابها ، وفيما إذا كان من الممكن منعها مستقبلاً .

وقد هداهم التفكير إلى أن أسبابها اقتصادية ، يرجع معظمها إلى الضائقة المالية التى أصابت الدول عامة ، و إلى البطالة التى انتشرت فيها ، خصوصاً فى دول المحور ، فدفعت الحكومات إلى الاستكثار من معدات التسليح كعلاج لها .

وكان من نتائج هذا التفكير أن انتشرت فى العالم نزعة جدية ترمى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس ، باعتبارها الهدف الأسمى والمثل الأعلى للحياة الإنسانية ، وأن فيها القضاء النهائى على الحروب بين الأمم .

و بغضّ النظر عما إذا كان تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس وحده كافياً للقضاء على الحروب : أم أن هناك شيئاً آخر يسمو فوق الماديات لابد من توفره بجانبها ، ليس هنا مكان الخوض فيه : فما لاشك فيه أن العدالة الاجتماعية أصبحت الآن ضرورة محتومة بسبب التطور الفكرى الذى حدث فى العالم .

العدالة الاجتماعية هى تعبير آخر لتحرير الفرد من العوز والحاجة إلى الغذاء والكساء والصحة والتعليم ، باعتبار هذه الأشياء هى المقومات الضرورية للحياة ، وأنها حق طبيعى لكل فرد على قومه وعلى المجتمع .

والواقع أن الدول الراقية كانت سائرة فى توفير هذه المطالب لكل فرد قبل الحرب بدرجات تتفاوت بنسبة تقدمها ورقيها ، وقد اتبعت فى سبيل تحقيقها طريقين مختلفين فى الاتجاه و إن اتفقا فى الغاية والنتيجة .

فى بريطانيا العظمى وأمريكا : قامت العدالة الاجتماعية على فرض ضرائب تصاعدية على ثروات الأفراد والشركات ترتفع فى النهاية إلى ما يزيد على ٩٥٪ من الإيراد ، ثم استخدام حصيلة تلك الضرائب لإعانة الفقراء والمواطنين بالقدر الذى يسمح بسد حاجاتهم من مطالب الحياة الضرورية السالفة الذكر ، بعد تقدير حدّها الأدنى لكل فرد ، وبهذا وفقت تلك الدول بين نظام (الرأسمالية) الذى تدين به وتحافظ عليه ، لما ثبت لها من فوائده بمرور السنين والأحقاب ، و بين تحقيق العدالة الاجتماعية التى تناشدها .

أما فى روسيا الشيوعية فقد سلكت حكومتها مسلكاً آخر فى سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية ، وهو هيمنة الدولة على مرافق البلاد الإنتاجية فى الزراعة والصناعة وسائر موارد الثروة فيها ، واستخدام أفراد الشعب كافة فى استثمارها ، كل بحسب قدرته ومواهبه ، وتوزيع الإيراد من الإنتاج عليهم بقسطاس معين ، ملحوظ فيه كفاءتهم ومقدرتهم على

الإنتاج الفكرى والجسمانى ، أو بالأحرى بحسب مساهمتهم الفعلية فى الإنتاج ؛ فجاء هذا التوزيع متفقاً مع العدالة ، مرضيًا من الجميع.

هاتان الوسيلتان تشتركان أيضاً فى أمر واحد لايمكن تحقيق تلك الغاية المنشودة بدونه ، وهو أنه لابد أن تكون الثروة الأهلية من السعة بحيث إذا وزعت بهذه الوسيلة ، أو بتلك أمكن توفير أسباب الحياة الضرورية للأفراد ؛ فبريطانيا تعتمد فى ذلك على ثروتها الطائلة فى داخل بلادها ، وعلى الثروات الواسعة المستثمرة فى إمبراطوريتها المترامية الأطراف وراء البحار ، وفى كثير من البلاد الأخرى ؛ كذلك تعتمد أمريكا على ثروتها الأهلية التى بلغت شأواً بعيد المنال ، وفى روسيا أيضاً قد تقدم الإنتاج الزراعى والصناعى فى الحقبتين الأخيرتين بخطوات هائلة ، وأذهلت العقول بما أدخلته فى نظامها الاقتصادى من برنامج الخمس السنوات الذى تكرر مرات عدة فى العشرين سنة الماضية ، حتى أصبحت الآن تضارع فى الإنتاج الصناعى بريطانيا العظمى التى سبقت العالم أجمع فى الأعمال الصناعية بأكثر من نصف قرن .

والحافز الذى يرجع إليه الفضل فى هذا التقدم المادى والاقتصادى ، سواء فى بريطانيا أو أمريكا أو روسيا ، هو « العلوم » التى وضعتها تلك الأمم نصب أعينها ، وأحلتها المكان الأول من اهتمامها ، وكل من يتتبع التقدم العلمى فى روسيا الآن يعجب كيف تمكنت هذه الدولة الناشئة الحديثة العهد بالعلوم وفنون الهندسة من الوصول إلى هذا المستوى العلمى الرفيع فى هذه الفترة القصيرة ؟ فإذا ما أقبل الإنسان على دراسة الوسائل التى اتبعتها روسيا لتنشيط الإنتاج العلمى — وهى مشروحة فى كتبها ومجلاتها — تبين له أنها وسائل عادية ، وفى مقدور كل أمة أن تترسمها فتصل إلى نفس النتيجة .

ليس فى العالم الآن من يجهل فضل العلوم سواء العلوم البحت ، والعلوم التطبيقية التى نسميها عادة بالفنون الهندسية — فى ترقية هذا المجتمع بعد أن كشفت الحرب الحاضرة عما تستطيع أن تقوم به العلوم مما يعده رجل الشارع من المعجزات ، ولا يحط من قدرها أنها وجهت إلى التدمير ، فليس هذا التوجيه من فعل العلماء أنفسهم ، ولا هو من أغراضهم ، بل أن مهمتهم الأولى والأخيرة هى الكشف عن أسرار الطبيعة ، وإعطاؤها الصفة العملية

التى تجعلها صالحة للاستعمال إن خيراً و إن شراً ؛ فإذا ماوجهت العلوم ونتائجها نحو التعمير بعد انتهاء الحرب — وكل الشواهد تدل على ذلك — واستخدمت فى زيادة الإنتاج فى النواحى الاقتصادية المختلفة ، فستؤتى ثمارها يانعة ، وسيصبح العالم أسعد بكثير مما كان عليه قبل الحرب .

كل يوم تأتينا الأخبار باستعداد الأمم لتحقيق سلم دائم يقوم على تحسين الأحوال الاقتصادية ، وزيادة الإنتاج فى كل بلاد العالم ، وتوفير أسباب السعادة لكل الشعوب ، لأن هذه الأمم أدركت تمام الإدراك أن وجود شعب واحد محروم فى دنيا سعيدة ، خليق بأن يثير عواصف القلق فى الشعوب الأخرى .

ولما كانت العلوم هى الدعامة التى يبنى عليها صرح التقدم الاقتصادى ، فقد أخذت كل دولة فى تعبئة أكبر عدد ممكن من رجال العلوم والهندسة وتوجيه مجهوداتهم إلى استثمار موارد الطبيعة وزيادة الإنتاج بالوسائل العلمية فى جميع نواحى النشاط الاقتصادى .

ولقد وهب الله مصر أرضاً من أخصب بقاع العالم ؛ ومع ذلك لايكاد إنتاجها الزراعى يضارع إنتاج البلاد التى أدخلت الوسائل العلمية فى زراعتها .

وفيها كذلك معادن ومناجم تحسدها عليها بلاد أخرى حرمت منها ، مثل (سويسرا و إيطاليا ) ولم يمنعها ذلك من تقدم الصناعة فيها .

وفى مصر أيضاً منابع للقوة المحركة والسكهر بائية لايستهان بها ، كل ذلك خليق بأن يجعلها تتبوأ مكاناً محترماً بين الدول الراقية ، ولا ينقصها إلا أن تعبئ جهودها لتنشيط العلوم والأبحاث العلمية ، وأن تستكثر من استخدام الوسائل العلمية فى شئونها الاقتصادية .

الدستور فى يوم السبت ٢١ أكتوبر سنة ١٩٤٤

## ٧ — إقامة العدل ومحق الظلم

### والحكم فى الناس بما يصون حقوقهم

كل ما فى هذا الكون المحكم بعوالمه ، يقوم على نظام محكم ، وترتيب عجيب ( ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ) .

فيجدر بالإنسان أن تكون كل أحواله وأعماله العامة جارية أيضاً على نظام يدير شئونه ، و يسوس أموره .

ومن أجل ذلك اقتضت إرادة الله سبحانه وتعالى إيجاد السلطان الوازع ، والشرع النافذ فى خلقه منذ القدم ، وفى كل الشعوب والأمم ( وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ) ، ولهذا قيل : « السلطان ظل الله فى أرضه » .

بالعدل والنظام قامت السموات والأرض .

ومبدأ القرآن فيما يتعلق بالنظام الاجتماعى ، دائر على محور إقامة العدل ، وحسن تدبير الشئون فى سياسة الخلق ، فسياسة المصالح ، وتدبير الأمور على حسب المقتضيات مادةً وأدباً ـ مطلوب من الراعى لرعيته ، وتقرير النظام ، و بسط رواق الأمن ، وتمهيد سبل استغلال الثروة فى المجتمع ، ونصب ميزان القضاء العادل بالشرع والقانون ، والذود عن حياض المملكة ، والدفاع عنها ، وتشجيع العلم والعلماء ، وتسهيل نشر المعارف ، والأمر بالمعروف بين الرعية ، حقوق واجبة على الحكومة فى نظر الإسلام ، حث عليها الشارع ، ونزل بها الكتاب ، وجرى بها العرف الصحيح .

فتوطدُ دعائم الأمن ، وتأسيس المنافع ، وتسهيل سبل المرافق من أجلّ ما حثّ عليه الشرع الإسلامى ، وأوجبته المبادئ الإسلامية فى آداب الحكومة .

و بالعدل تنتظم أحوال الرعية ؛ ولقد نص الله تعالى فى أكثر من آية من كتابه العزيز على إقامة قسطاس العدل فى الشئون المختلفة ، وفيما يشجر بين الناس من الخصام فى الحقوق وسائر المعلومات .

ولذلك وجب فى نظام المجتمع الإسلامى وآدابه السامية اختيار القضاة والولاة والنواب وسائر العمال من أهل العلم والتقوى والنزاهة .

ولقد ورد فى الحديث الشريف : « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّاقِدَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ وَيُحِبُّ الْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّهَوَاتِ ) .

والرشوة وما فى حكمها هى : السحت ( الحرام ) ، والربا المحرم ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وهى إذا أخذت لإحقاق باطل كانت من أشأم الظلم والجور الذى لا يفلت صاحبه

من عقاب الله ، وإذا تنوولت لتيسير مصلحة بحق ، كانت من أعظم أكل أموال الناس بالباطل .

ومن الكذب على الله ، والافتراء على الناس، ما يقدمه المحكوم للحاكم باسم الهدية ، وهى الرشوة بعينها .

جاء فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى حميد الساعدى قال : « اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم رَجُلاً مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ (ابن اللُّتبية) عَلَى الصَّدَقَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : هٰذَا لَكُمْ وَهٰذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : مَا بَالُ الرَّجُلِ نَسْتَعْمِلُهُ عَلَى عَمَلٍ مِمَّا وَلَّانَا اللهُ فَيَقُولُ : هٰذَا لَكُمْ وَهٰذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ ؟ فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعِرُ (تصيح) ثم رفع يديه حتى رأينا عفر إبطه (أصل إبطه) وقال : اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟»

فتمادى عمال السوء فى أخذ الرشوة ، وخيانة الدولة من أعظم مايفسد المصالح القضائية والإدارية فى المملكة .

فاختيار العمال واجب ، وتقييدهم بالنظام لازم ، وانتقاؤهم من ذوى الاستقامة ، المشهورين بالصدق والإخلاص والعفة والحزم ضربة لازب .

ومن أصول دعائم قيام المملكة : تنظيم الجند للحراسة ، والذود عن حياض الدولة والأمة داخلاً وخارجًا ، وهذا أمر مرغوب فيه وداخل فى حكم الآية الشريفة : ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ) .

فيجدر بالأمم الإسلامية أخذ الحذر ، والسهر والمداومة على انتقاء أحسن التدابير العسكرية الفنية والعملية مما له أصل فى الترغيب فى القرآن الكريم .

( إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ) .

وكل ذلك يقتضى إغداق الأرزاق على الجنود ، واختيار أجود العُدد والسلاح

واللباس ، والمران على أساليب الحرب . قال الإمام الطرطوشى فى كتابه « سراج الملوك » فى فضل الجندية ، والحث على القيام بشأنها :

الجند عُدَد المُلك وحصونه ، ومعاقله وأوتاده، وهم حماة البسيطة ، والذّابون عن الحرمة ، والدافعون عن العورة ، وهم جُنَن « حماة » الثغور ، وحراس الأبواب ، والعدة للحوادث .

( المرحوم محمد جاد المولى بك )

## ٨ — بالعدل استقام الملك والدين

العدل وضع الشئ فى محله ، و إيصاله إلى مستحقه ، و به قوام الدنيا والدين ، وسبب صلاح المخلوقين ، و به تألفت القلوب ، والتأمت الشعوب ، وظهر الصلاح ، واتصلت أسباب النجاح ، وشمل الناس التناصف ، وضمهم التواصل والتعاطف ، و به عمرت البلاد ، واستراحت العباد ، وأمنت السبل ، ونمت التجارات ، وورثت الأرزاق ، وعمت الإصلاحات العامة والخاصة .

وما قامت به أمة من الأمم ، وجعلته فى موارد أفعالها ومصادرها ، إلا وكانت فى مقدمة الأمم عمراناً ، وأكثرها حضارةً ومدنيةً ؛ وما حادت عنه ونكبت جانباً منه ، إلا وكان الخراب رائدها ، والضعف قائدها .

بذلك قضى العقل ، وحكم الله وجرى العمل فى الأمم من أول نشأتها إلى الآن ؛ وحسبك عبرة ومصداقاً قولُ الله جل شأنه ( فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ) .

وهو نوعان : ظاهر وباطن .

فأما الظاهر ، فيكون فى الحكم بين الناس لقول الله سبحانه :

(وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) أى بالعدل .

وفى صدق القول لقوله تبارك اسمه : (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) .

وفى الوزن لقوله عز وجل : ( وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ) ويكون فى غير ذلك .

وأما الباطن فهو فى جميع مايلزم الإنسان من محاسبة نفسه ، سواء فيما بينه و بين الخالق أوفيما بينه و بين المخلوقين .

فأما الذى بينه و بين الخالق ، فامتثال أحكامه ، والتزام حدوده ، والوقوف عند أوامره ونواهيه و إن شقّت ، والرضا بقضائه ، والتسليم لقدره ، و إن لم يوافق اختياره .

وأما الذى بينه و بين المخلوقين ، فالإنصاف من نفسه فيما له وعليه ، وأخذ الحق و إعطاؤه ، وقول الصدق ، وحسن المعاشرة ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهد ، وكتمان السر ، وغير ذلك مما يتعلق بحكم الشريعة ، ويقتضيه الحق ، وتوحيه مكارم الأخلاق ؛ وهو بهذا المعنى لايختص بحاكم أوأمير أو والٍ أونحوه . ممن له على غيره حكم دون غيره، بل هو لازم لكل إنسان فى جميع أحواله ، فإنه يتعين عليه العدل فى أهله وماله وولده وأعوانه وخوله وخلانه وقرابته وجيرانه ومعامليه وخلطائه فى أخذه وعطائه ، وفى الخاص والعام من جميع أموره وأحواله .

وقد حث الله عليه ، وبالغ فى التمسك والأخذ به فى جميع الأحوال ، وسائر الأعمال .

فقال جل شأنه فى الحث على العدل فى الحكم بين الناس :

( إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ) .

وقال تبارك اسمه فى الحث على العدل فى الشهادات :

( يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، شُهَدَاءَ لِلهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِالْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ، إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْفَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا ، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ) .

وقال جل شأنه فى وجوب العدل بين الخصمين ولو كان من أشد الناس عداوة له ، وأبغضهم إليه .

( يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) .

وقال تعالى فى الحث عليه والتمسك بعروته الوثقى التى لاانفصام لها .

( إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ . وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) .

(عن كتاب الصراط المستقيم للمرحوم أحمد زناتى بك)

---

## ٩ — أمثلة فى العدل

نقلاً عن كتاب « السمير الواعظ » الجزء الأول

١ — روى عن محمد بن كعب القرظى أنه قال : دعانى عمر بن عبد العزيز ، فقال صف لى العدل .

فقلت : بخ بخ ، سألت عن أمر جسيم : كن لصغير الناس أباً ، ولكبيرهم ابناً ، والمثل منهم أخاً ، فبرّ أباك ، وارحم ابنك ، واحفظ أخاك ، فهذا هو العدل الذى فيه سعادة الدنيا والآخرة .

٢ — وخطب سعيد بن شريك بحمص ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس : إن الإسلام حائط منيع ، وباب وثيق ، فحائط الإسلام الحق ، وبابه العدل .

ولايزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان ، وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ، ولاضرباً بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، وأخذ بالعدل .

٣ — وقال قدامة : حسبكم دلالة على فضيلة العدل ، أن الجور الذى هو ضده لا يقوم إلا به .

وذلك ، أن اللصوص إذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم ، احتاجوا إلى استعمال العدل فى اقتسامهم ، وإلا ضرّ ذلك بهم .

٤ — روى أن منافقاً من المنافقين فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بينه وبين يهودى خصومة فى أمر من الأمور ، وابتغيا حكماً يحكم بينهما .

فقال اليهودى : نحتكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال المنافق : بل نحتكم إلى كعب بن الأشرف ( وكان كافراً ) ؛ وأخيراً قررا أن يحتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم بينهما ، ورأى أن الحق لليهودى فقضى له به ، فلم يرض المنافق بعد انصرافهما بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقابلهما سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ؛ فقال له اليهودى : قد احتكمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لى بحق ، ولم يرض هذا بقضائه وخاصمنى إليك .

فقال عمر رضى الله عنه للمنافق : أكان ذلك ؟ قال : نعم . قال : مكانكما حتى أرجع إليكما .

ثم دخل عمر فأخذ سيفه وخرج فضرب به عنق المنافق حتى برد .

وقال : هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله .

فنزل عند ذلك قوله تعالى فى سورة النساء :

( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ[1] . وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ . وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا . فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ . ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ . وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا . وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا . فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ) .

---

(١) المراد بالطاغوت : كعب بن الأشرف أومن يحكم بالباطل اتباعا للهوى والشيطان .

وقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم : إن عمر قد فرّق بين الحق والباطل ، فسمّى الفاروق .

٥ — ويروى أن رجلاً من بنى ظفر ( لعله كان قد أسلم حديثًا ) يسمى ( طعمة ابن أبيرق ) كان قد سرق درعًا من جاره قتادة بن النعمان ، وكانت فى جراب دقيق ، فجعل الدقيق يتساقط من خرق فيه فى الطريق حتى وصل إلى منزل ( زيد بن السمين اليهودى ) فخبأها عنده ، والتمس صاحب الدرع درعه عند طعمة فلم يجدها عنده ، وحلف طعمة إنه ماأخذها وماله بها علم .

فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودى فوجدوها عنده .

فقال لهم : دفعها إلىّ طعمة ، وشهد بذلك ناس من اليهود .

فقالت بنو ظفر : انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقوا وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة لئلا يفتضح ويبرأ اليهودى ، فنزل قول الله تعالى فى سورة النساء أيضًا :

( إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً . ( أى مدافعًا ) وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً . وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً . يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً . هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً . وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً . وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً . وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً . وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ، وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَىْءٍ . وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ ، وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ) .

والذى يتلو الآيات التى نزلت فى كل من القصتين بتمعُّن يعرف مقدار الحكم العادل ، وعدم المحاباة فى الإسلام ، وكفى به عدلا ، وكفى بالله شهيداً .

٦ — وروى أن يهودياً شكا عليًّا إلى عمر فى خلافته ( رضى الله عنهما ) فقال عمر ابن الخطاب لعلى بن أبى طالب : قِف بجوار خصمك ( يا أبا الحسن ) فوقف ، وقد علا وجهَه الغضبُ .

فبعدأن قضى الخليفة بينهما بالعدل قال: أغضبت ياعلى أن قلت لك: قِف بجوار خصمك ؟

قال : لاوالله يا أمير المؤمنين ، ولكن من كونك كنيتنى بأبى الحسن ، فخشيت من تعظيمك إياى أمام اليهودى أن يقول : ضاع العدل بين المسلمين .

٧ — ووفد (جبلة بن الأيهم) أحد ملوك غسان[1] على عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأبهة الملك بعد أن أسلم فتلقاه بالترحيب .

ولما انصرف إلى مكة حاجًّا أخذ يطوف بالبيت ، فداس أعرابى على إزاره ، فلطمه (جبلة) على وجهه .

فشكا الرجل إلى عمر ، ففضب وتألم ، ثم أنصفه من ضاربه ، فكبُر على (جبلة) حكم عمر ، وقال :

ألا تفرّقون فى الإسلام بين الملوك والسوقة ؟ فقال له عمر : إن الإسلام قدسوّى بينكما .

فغضب (جبلة) وولى هاربًا من دين يسوّى بين الضعيف والقوى ، ويحكم بأن يؤخذ للحقير من الأمير ، ثم ندم بعدُ على ذلك ، وقال أبياتًا منها :

تنصرت الأشراف من أجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفنى منها لجاج ونخوة ... فبعت بها العين الصحيحة بالعور

فياليت أمى لم تلدنى وليتنى ... رجعت إلى الأمر الذى قاله عمر

٨ — وروى أن عمر رضى الله عنه كان يقسم أثوابًا بين نساء المدينة ، فبقى منها ثوب جديد ؛ فقال له بعض الحاضرين عنده : أعط هذا الثوب لزوجتك أم كلثوم .

---

(١) بنو غسان : هم العرب الذين كانوا يسكنون فيما يلى حدود الشام وكانوا تابعين لدولة الروم ، وجبلة هذا كان آخر ملوكهم .

فقال لهم : إن فلانة أحق به منها ، لأنها بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت تصلح قرب الماء يوم أحد .

٩ — وروى أنه قد جيء لعمر رضى الله عنه بمال فجاءته بنته حفصة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له :

يا أمير المؤمنين أوصيك بأقربائك بأن تعطيهم من هذا المال ، فإن الله تعالى قد أوصى بالأقربين .

فقال لها : يابنية حق أقربائى فى مالى ؛ أما هذا فمال المسلمين .

غششت أباك ، ونصحت أقرباءك ، قومى ، فقامت تجرّ ذيلها ( خجلاً ) .

١٠ — وروى أن ولدى عمر رضى الله عنه، وهما عبدالله ، وعبيد الله — وكانا فى سفر — مرّا فى طريقهما على أبى موسى الأشعرى ، وهو أمير (البَصرة) يومئذ فنزلا عنده فأكرمهما ، ورحب بهما ؛ وقال لهما : إنى أحب أن أعمل لكما عملاً تنتفعان منه ، وهو : أن عندى مالاً من مال بيت المسلمين أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين فخذاه سلفًا واشتريا به تجارةً من العراق لتبيعاها بالمدينة وتأخذا ربحها ، وتدفعا لأمير المؤمنين رأس المال ، ففعلا ذلك وربحا .

فلما بلغ عمرَ ذلك قال لهما : هل أسلف أبو موسى كل الركب أو أسلفكما وحدكما ؟

قالا : بل أسلفنا وحدنا ، قال : إنه قد فعل معكما ذلك لأنكما ابنا أمير المؤمنين فخابا كما ، وطلب منهما رضى الله عنه أن يدفعا رأس المال والربح إلى بيت مال المسلمين .

و بعد مناقشة طويلة بينه و بين ولده عبيد الله صالحهما على أن يأخذ رأس المال ونصف الربح لبيت المال ، و يترك لهما نصف الربح .

ملحوظة — الذى ذكرناه من حرص عمر رضى الله عنه على العدل ، ونكرانه نفسه وأهله فى سبيل العدل ، قليل من كثير من أعماله وأقواله ، فله عند الله أحسن الجزاء ، وأكرم المنازل .

نكتفى بما ذكر فى أمثلة العدل ؛ ومن أراد الزيادة فليقرأ هذا الفصل فى كتاب « السمير الواعظ » وفى كتابنا : « السمير المهذب » الجزء الثانى من ص ١٠٥ — ١٤٩ ، والرابع من ص ١٩٤ — ٢٠١

## ١٠ — مثل من حب عمر بن عبد العزيز للعدل

مما يؤثر عن حب عمر بن عبد العزيز للعدل القصة الآتية :

قدم عليه رجل من حلوان ادعى أن والده عبد العزيز لما كان والياً على مصر ، أقطعه (عبد الملك بن مروان) أرض حلوان، فورثها عمر و إخوته، فقال عمر له : إن لى فيها شركاء ، إخوة وأخوات لا يرضون أن أقضى فيها بغير قضاء قاض ، وقام عمر معه إلى القاضى وقعد بين يديه ، فتكلم بحجته ، وتكلم الرجل المدعى بحجته ، فرأى القاضى أن الحق مع المدعى . فقضى له به ضد عمر . فقال عمر : إن عبد العزيز قد أنفق عليها ألف درهم ، قال القاضى : قد أكلتم من غلتها بقدر ذلك ؛ فثلجت نفس عمر بحكم القاضى وقال : وهل القضاء إلا هذا ؟ تالله : لو قضيت لى ماوليت لى عملا ، وخرج إلى الرجل من حقه .

فانظر إلى هـذا العدل السامى الذى يبدو من خليفة ، هو السيد المطاع ، هو الآمر الناهى ، فيضرب به للرعية أحسن الأمثال .

## رده للمظالم

ولما أقبل عمر على رد المظالم ، وقطع (عن بنى أمية) جوائزهم وأرزاق حراسهم ، ورد ضياعهم إلى الخراج ، وأبطل فظائعهم ، ضجوا من ذلك على رؤوس الملأ فى المسجد ، وكانت انتهت لهم هذه الإقطاعات من الخلفاء السابقين ، فلم ير فى هذا مايؤثر عليه مادام هو فى الحق يسير ، وخوف الله يخشى و يتقى .

ولقد كانت غلة عمر لما بويع بالخلافة خمسين ألف دينار وأربعين ، وما زال يردها لأهلها ومن أخذت منه حتى كانت يوم وفاته مائتى دينار ، ولو بقى لردها كلها .

فأفقر نفسه ، ولم يصب عمر من مال المسلمين شيئاً حتى مات فقيراً ، وكان من رأيه أن يرجع ما أخذه من الناس ، ولو من طريق مشروع ، لأن استثمار الأموال من شأن الرعايا لا الرعاة ، فكان نظره أعلى ، وطريقته أمثل وأعدل .

أبو السعود أحمد إبراهيم

( عن مجلة نشر الفضائل )

ومن الأدلة على نزاهته أنه كتب إليه عامله على العراق : أن أناساً قِبَله قد اقتطعوا من مال الله مالاً عظيماً ليس يقدر على استخراجه من أيديهم إلا أن يمسهم شيء من العذاب .

فكتب إليه عمر يقول : أما بعد — فالعجب كل العجب من استئذانك إياى فى عذاب البشر ، كأنى لك جُنة ( وقاية ) من عذاب الله ، وكأن رضاى ينجيك من سخط الله ؛ فانظر فيما قامت عليه البينة فخذه بما قامت عليه ، ومن أقر لك بشيء فخذه بما أقرّ به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله وخلّ سبيله ، فوالله لأن يلقوا الله بخياناتهم ، أحب إلىّ من أن ألقى الله بدمائهم .

هكذا عمر بن عبد العزيز يكل أمر الفصل فى الجناة إلى من تولى شئونهم ، ويحثه على أن يقيم فيهم حدود الله متى ثبتت ، ولا يحمل نفسه شيئاً من وزر المسئولية ، ولنعتمد هذه النزاهة وذلك السبيل القويم .

أبو السعود

( مجلة نشر الفضائل )

العدد ٣٠ السنة الخامسة ٨ يناير سنة ١٩٣٨

# أمثلة أخرى فى العدل

## ١ — الحاكم العادل نصير الحق

تنازع إبراهيم بن المهدى ويُحيَتشُوع الطبيب فى مجلس الحكم فى عقار ، فأغاظ له إبراهيم القول ، وكان القاضى (أحمد بن أبى دؤاد) فغضب وقال له :

يا إبراهيم إذا نازعت فى مجلس الحكم امرأ ، فلا ترفع عليه صوتا ، ولا تشر بيدك ، وليكن قصدك أمّما ، وطريقك نهجاً ، وريحك وكلامك معتدلاً ، ووفِّ مجالس الخليفة حقها من التوقير والتعظيم والاستكانة ، والتوجه إلى الحق ، فإن هذا أشكل بك ، وأجمل بمذهبك فى محتدك ، وعظيم خطرك ، ولا تعجلنّ فرب عجلة تهبُ رَيْثاً ؛ والله يعصمك من الزلل ، وخطل القول والعمل ، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ، إن ربك حكيم عليم .

فقال إبراهيم : أمرت ( أصلحك الله) بسداد ، وحضضت على رشاد ، ولست عائداً لما يثلم قدرى عندك ، و يسقطنى من عينيك ، و يخرجنى عن مقدار الواجب إلى الاعتذار فها أناذا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه ، باخع بجُرمه ، لأن الغضب لايزال يستفزنى بمواده ، فيردنى مثلك بحلمه ، وتلك عادة عندك وعندنا فيك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ؛ وقد جعلت من هذا العقار لبخيتشوع ، فليت ذلك يكون وافياً بأرش الجناية عليه ، ولم يتلف مال أفاد موعظة .

و بالله سبحانه وتعالى التوفيق . ( ثمار الإنشاء )

## ٢ — العدل و النزاهة

ولّى عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قيس بن سلمة) حرب الأكراد فظفر بهم ، ولما فرق الغنائم رأى حلية ، فاسترضى الجند فى إرسالها إلى عمر فرضوا ، فبعث بها مع رجل من أصحابه فقدم الرجل على عمر فرآه يُغدى فقراء المسلمين وهو متكئ على عصاه ، فتقدم إليه فأجلسه .

ولما انتهى الأكل سار عمر إلى داره واتبعه الرجل ودخل معه ، فأجلسه على وسادة وجلس هو على أخرى وقال : يا أم كلثوم غداءنا فأخرجت إليه خبزة بزيت ومعها ملح ، ثم أكل هو والرجل فما كان أحسن أكلا منه ، ثم قال الرجل : حاجتى يا أمير المؤمنين أنا رسول قيس بن سلمة . فقال : مرحباً ، وسأله عن المهاجرين . فقال : هم على ما تحب فى كل شئ ، ثم أخبره بأمر الحلية ، فوثب عمر ووضع يده فى خاصرته وقال : لا أشبع الله إذاً بطن عمر، ردَّ ماجئت به؛ أما والله لئن تفرق المسلمون فى شاتيتهم قبل أن نقسم هذه فيهم لأفعلن بك و بصاحبك الفاقرة ، فخرج الرجل حتى أدرك قيساً وأخبره بما كان ففرق الحلية على أهلها .

فانظر إلى عدل عمر وزهده ونزاهته ، فكيف لاتكون القلوب بيده يصرفها كيف شاء ، وأنّى أحبَّ .

## ٣ — مثال حي من عدل الملك ابن السعود

### ملك الحجاز وسلطان العرب

لينظر كل من له عقل ثاقب ، و بصيرة نيرة ، إلى ماصار إليه الحجاز من وقت أن تولى عليه الملك ابن السعود ، الملك العادل ، وكيف تبدلت الأحوال ، وانتشر الأمن والأمان ، في هذا الزمان ، فسبحان مدبر الأكوان ، الواحد المنان ، الذي لم يترك الإنسان في عالم الطغيان ، بل اصطفى له ملكاً كريماً يعلمه الطريق القويم في بث التعاليم ، وإرسال الكتب القيمة والمرشدين ، لهداية الناس وتعليمهم طرق الحق والهداية ، وإرجاعهم عن غيهم وضلالتهم إلى الصراط المستقيم .

اذهب الآن إلى بيت الله الحرام ، وزمزم والمقام ، وانظر كيف تبدلت العوائد التي من البدع والغواية والضلال إلى مايتفق مع أصول الدين الحنيف من الصدق والحق والأمانة فجزاه الله خير الجزاء ، ( وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ) .

ومن جملة عدله الذي عم الأقطار الحجازية أنه يوجد رجل من التجار المشهورين يسمى (صادق أفندي خوجه زاده ) وهو ابن المرحوم (محمود بك خوجه زاده ) رئيس بلدية دمشق الشام ، اشتغل بالتجارة في الأقطار الحجازية مدة خمسين عاماً ونيفاً ، فحدث منذ بضعة شهور أن توقف أحد التجار السوريين المقيمين بالحجاز عن دفع ما عليه من الديون المستحقة لصادق أفندي زاده ، وأنكر كل ما كان عليه له من دراهم و بضائع تعادل نحو ستين ألف جنيه ؛ ونظراً لما كان المرحوم محمود بك زاده من المحبة والمكانة العظيمة في قلوب أهل الحجاز ، أوعز بعضهم إلى ابنه صادق أفندي أن يرفع أمره لجلالة الملك ابن السعود ، فتوجه إلى جلالته وقص عليه أمره ، وهو يصغي إليه في اهتمام وعطف ؛ ولما تحقق من صدق روايته أصدر أمره في الحال بدعوة جمعية من التجار ، و بينهم ذلك التاجر الناكر الجميل ، و بعد أن ناقشه جلالته في أمر ما عليه من الديون ، استطاع بحكمته ودهائه أن يستدرجه إلى أن أقر واعترف بما في ذمته ، ورد إلى صاحب الحق خمسة وعشرين ألف جنيه من الذهب ، واستطاع رجاله أن يخرجوا ما كان مخبئاً من البضائع في المخازن وغيرها ،

فكان هذا العمل الجليل موضع دهشة جميع التجار ، وتقديرهم لحمية جلالة الملك ، وحرصه على حب العدل والإنصاف ، وتعزز اعتقادهم بأنه لا يمضى وقت طويل حتى يعود الحجاز إلى عهده فى صدر الإسلام .

فنسأل الله أن يديم جلالته مناراً للعدل والحق والتوحيد .

مصر القديمة ( السيد حسن الأنين )

## ٤ — مثال آخر من عدل الملك ابن السعود

قال لنا أحد رجال السلك السياسى : إن جلالته يعامل أولاده بحزم ؛ وحدث أن كان أحد الأمراء من أنجال الملك يقود سيارته ، فصدم أعرابيًّا فى الطريق العام ، وحار مدير الأمن العام فى الأمر ، واتصل بجلالة الملك ابن السعود ، يسأله كيف يتصرف فى الحادثة؟.

فقال جلالته : كيف يعامل السائق العادى إذا قتل أحد المارة ؟

فأجاب مدير الأمن العام : نقبض عليه ولا نفرج عنه حتى يدفع فدية الأعرابى .

فقال جلالته : إذاً اقبضوا على ابنى ولا تفرجوا عنه حتى يدفع فدية الأعرابى .

وقبض على نجل الملك ، ولم يفرج عنه إلا بعد أن دفع الفدية من جيبه .

وهكذا يكون عدل الملوك . ( أخبار اليوم )

١ سبتمبر سنة ١٩٤٥ العدد ٤٣

## ٥ — تكذيب ما نسب إلى قراقوش

### من جور الأحكام

كنت أظن عند ما أسمع الناس يقولون : ( هذا حكم قراقوش ) ، أى أن قراقوش هذا رجل ظالم جبار ، سيئ الإدارة والحكم ، حتى صار يضرب به المثل فى الظلم وجور الأحكام .

ولكن عند ما قرأت تاريخه فى دائرة معارف القرن العشرين ، للأستاذ الجليل « محمد فريد وجدى بك » ، علمت أنه كان رجلاً صاحب همة عالية ، وإدارة حكيمة ، وأنه ليس بالرجل المستبد الظالم كما يقولون .

وإليك خلاصة ما ذكر عنه فى دائرة المعارف المذكورة :

( قراقوش ) هو الوزير أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدى الملقب ببهاء الدين .

كان أصله مملوكاً للسلطان صلاح الدين ، وقيل : بل مملوكاً لأسد الدين شيركوه ، عم السلطان صلاح الدين فأعتقه ، وكان معتمداً عليه فى تدبير أحوال المملكة ، وكان رجلاً مسعوداً وصاحب همة عالية .

وقال القاضى ابن خلكان فى كتابه «وفيات الأعيان» : والناس ينسبون إليه أحكاماً عجيبة فى ولايته حتى إن « الأسعد بن مماتى » ذكر له جزءاً لطيفا سماه : « الفاشوش فى أحكام قراقوش » ، وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها منه ؛ والظاهر أنها موضوعة ، فإن صلاح الدين كان معتمداً فى أحوال المملكة عليه ، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته مافوّضها إليه .

نقول ولم يزل الناس عندنا يضربون به المثل فى سوء الإدارة ، وجور الأحكام ؛ فيقول أحدهم إذا أنس جَوْراً فى حكم ( هذا حكم قراقوش ) ؛ ولاشك أن هذا الوهم سرى إلى الناس من كتاب الأسعد بن مماتى الذى ذكره القاضى ابن خلكان ، وليس للعامة من حظ فى نقد أعمال الرجال ، فكثيراً مايتعلق بأذهانهم الوهم الباطل ، فيتوارثونه جيلاً بعد جيل على نحو ماحصل لقراقوش هذا .

ولقد صدق المثل : ( كم فى الحبس من مظلوم برىء ) ؟

( دائرة معارف القرن العشرين )

## ٦ ــ قدس العدل

فى أيام حكم « فريدريك الأكبر » ملك « بروسيا » كان على مقربة من قصر « سان سوسى » الذى يقيم فيه الملك ( طاحون ) تحجب مناظر الطبيعة عن بعض نوافذ القصر .

ولما رأى الملك أن هذه الطاحون تحول دون أن يستكمل القصر بهاءه ورونقه ، سأل صاحبها عما يطلبه ثمناً لها ؟ فأجابه الطحان البروسى : إنه لاينزل عنها بأى ثمن .

فكان هذا الجواب الجافّ الغليظ باعثاً لأن يأمر الملك بهدمها على الفور .

وعند مابدئ بتنفيذ ذلك قال الطحان : يستطيع الملك أن يفعل هذا ، غير أنه فى « بروسيا » قانون سيعلم نبأه بعد حين .

ولما رفع أمره للقضاء حكم على الملك بأن يعيد على نفقته بناء الطاحون كما كانت ويدفع لصاحبها إلى جانب ذلك مبلغاً كبيراً من المال على سبيل التعويض .

فكان هذا الحكم ، وإن جرح عزة الملك وكرامته ، مدعاة لمفاخرته بأن يرى فى بروسيا قانوناً عادلاً يسهر على تنفيذه قضاة أشداء فى الحق يقيمونه حتى على الملك نفسه ، وبعد سنوات عديدة آل ملك الطاحون إلى أحد ورثة ذلك الطحان .

ولما وجد نفسه فى ضائقة مالية لا يمكنه احتمالها ، كتب إلى ملك بروسيا فى ذلك الحين ، يذكّره بما كان من أمر جده الطحان السابق مع « فريدريك الأكبر » ، ويعرض عليه لما هو فيه من ضنك وضيق ، وشدة نزوله عن الطاحون إذا رغب جلالته فى ذلك مقابل مبلغ من المال ، ولكن الملك أرسل إليه فى الحال ردًّا بخط يده يقول له فيه :

جارى العزيز : لا يمكننى أن أسمح لك ببيع هذه الطاحون التى يجب أن تبقى فى حوز أسرتك إلى ماشاء الله ؛ لأن مبانيها أضحت ملكاً لتاريخ بروسيا ، ويجب أن تظل قائمة تذكاراً لعدالة قضاتنا وعدم تحيزهم فى تنفيذ القانون ، وإنه ليسوءنى أن أسمع عنك أنك فى ضائقة مالية ؛ ولهذا أبعث إليك بستة آلاف ريال لتؤدى منها ديونك ، راجياً أن تعنى بكل حاجاتك ، وأرجو أن تعتبرنى جارك المحب . « فريدريك وليم »

ولا تزال هذه الطاحون قائمة إلى اليوم رمزاً لعظمة القضاء وشرف القضاة .

( عن كتاب التربية بالقصص )

## ٩ — العدالة المطلقة ( الاجتماعية )

كان لبدّال ( بقال ) من ( أزمير ) ولد ، وصل بعلمه واجتهاده إلى مركز قاض فى المدينة وكان عمله الرئيسى ينحصر فى تفقد حال الأسواق المختلفة فى الموازين والمكاييل التى يستعملها البائعون ؛ فاتفق له أن مرّ بمتاجر الحى الذى يبيع فيه والده .

ولما علم التجار أن التفتيش يجرى فى هذا اليوم ، وكانوا يعرفون أن والد المفتش يعامل الناس بموازين ومكاييل غير رسمية ، وجهوا نظره إلى الاحتياط فى إخفائها و إظهار الموازين والمكاييل ( المدموغة ) الرسمية ، ولكنه تلقى نصيحتهم بالازدراء ، وهزّ الكتف ، وعدم الاكتراث ، ووقف أمام متجره باطمئنان وهدوء ، منتظراً وصول ابنه إلى محله .

جاء المفتش، ولديه من الدواعى الكثيرة مايحتم عليه أن يبحث أساليب والده فى الغش ويكشف عنها للناس ، ليكون ذلك لهم عظة وعبرة .

ولما وقف بباب متجر والده ، وطلب إليه إحضار موازينه ومكاييله ، ليفحصها ويمتحنها لم يحفل البقال بهذا الطلب ، وجعل يتبسم ضاحكاً ، ولكنه اعتدل على صوت الأمر الجدى الذى ألقاه ابنه للضباط المرافقين له ، إذ دخلوا وفتشوا حتى أظهروا الموازين والمكاييل التى اتضح بعد الفحص الدقيق أنها مغشوشة ، فأمر فى الحال المفتش بكسرها ؛ وقف البقال مبهوتاً ، وظن أن الأمر انتهى عند هذا الحد ، وأن ابنه لن يتمادى فى تطبيق القانون وتوقيع الجزاءات الأخرى التى من شأنها أن تفضحه فضيحة علنية ، وتشهِّر به على أنه كان خاطئاً فى ظنه ، لأن ابنه أمر بالعقوبات كما لو كان المجرم رجلاً غريباً عنه ؛ فحكم عليه بتغريمه خمسين غرشاً ، وبجلده عدداً معيناً من الجلدات ، وقد أنفذ الحكم فى الحال ، بعد ذلك نزل المفتش عن صهوة جواده ، وترامى على قدمى والده وقال له :

ياوالدى العزيز : لقد أديت واجبى لله وللمليكى ولبلادى ومركزى ، فاسمح لى الآن أن أتكلم معك فى احترام الابن ، وخضوعه المفروض عليه لأبيه .

فالعدالة عمياء لاتفرق فى التطبيق بين قريب وغريب ، وفرض الله ، وحقوق المواطنين تجلّ عن أن تتأثر بالروابط الطبيعية ، وأنت خرجت على القوانين فكنت مستحقاً لأن ينالك عقابها ، ولولم تتلق هذا الجزاء على يد ابنك لوجب أن تقع تحت طائلته على يد أى إنسان آخر ؛ وإنى آسف أن يكون مقدوراً لك ألاّ تتلقى النصيحة إلا منى ، على أن ضميرى لم يرض أن أفعل إلا مافعلت ؛ فاسلك فى المستقبل طريقا أشرف ، وبدلاً من أن تحقد علىّ أرجو أن تعذرنى ، وتقدر أحوالى ومركزى .

وبعد ذلك تسلم صهوة جواده ، وسار فى طريقه فى وسط هتاف الهاتفين ، وإعجاب المعجبين من جميع الأهالى بعدالته المطلقة .

ولم يكن هذا التشجيع والاحترام هو كل ما كوفئ به على عدالته ، بل ظهر فى صورة أخرى إذ رقاه السلطان بعد الوقوف على حالته وعدالته ، ومعرفة تفاصيل الحادثة إلى وظيفة قاض ، ثم ترقى منها إلى وظيفة مفتى ، وبقى فيها حارساً للقوانين ، ومحافظاً على تطبيقها فى جميع أنحاء المملكة .

(التربية بالقصص)